الحُبـــاة

روايــة

سعد عبدالفتاح

E-mail:saad-abdelfattah@yahoo.com

ت : ٠١٢٧١٢٦٠٠٦٠

تصميم الغلاف : وليد الفازى

مقـدمة

الناس فى بلادى جارحون كالصقـور

غنـــــــاؤهم كـــرجفة الشتـــاء

فـــــى ذؤابـــــة الشجــــــــر

وضحكهم يئز كاللهيب فى الحطب

خطاهمو تريد أن تسوخ فى التراب

ويقتلون يسرقون ، يشربون يجاشون

ولكنهـــــــــــم بشــــــــــر

وطيبون حين يملكون قبضتى نقود ومؤمنون بالقدر

صلاح عبد الصبور

مقدمة لابد منها

(يحكى أن دابة عثرت فى أرض العراق فأرسلوا بأمرها

لأمير المؤمنين .. فحول القضية إلى الأمم المتحدة) .

سعد عبد الفتاح

كان دوى سيارة الإسعاف ينثر آلافاً من الشباك على أهل القرية فى مضاجعهم فيسحبهم خلف السيارة لاهثين ، وقد تهافت الأطفال فى الطرقات والأزقة على ضوء السيارة كالفراشات ، والسيارة تلهث ومن خلفها أسراب من الفراشات والغبار والبشر مخترقة طرقات القرية الملتوية الضيقة ، واستقرت السيارة بعد طول عناء أمام أحد المنازل وقد تحلق حوله البشر يطوفون وكأنهم حول أحد المقامات ، والمنزل أسمنتى ذو طابقين ومرتفع فى شمم عما حوله من منازل طينية متلاصقة ومزدان مدخله بشجرتى (فيكس) استيقظتا فى فزع من تدافع المتجمعين ، أما المصباح الكهربائى فقد وهن ضوئه من كثرة ما رسم من ظلال للواقفين يتطلعون فى هلع وفضول والمسلطة ألسنتهم .. آذانهم .. أعينهم على الباب المسدود عن آخره بأجساد ازدحمت بها الصالة فبرزت منه ، ومن بين الأجساد المتلاصقة والرؤوس المتطاولة اندفع رجلا إسعاف بملابسهم البيضاء شاقين لهم طريقاً وسط الزحام حتى أوصلهما التدافع إلي سرير فى إحدى الغرف مسجى عليه رجل يرتدى جلبابا أبيضا وذو جسد نحيل وطويل وبشرة سمراء ووجه تملؤه التجاعيد ملقيا يده بين يدى امرأة تشبهه إلا أن بشرتها بيضاء وعينيها لامعتين تملؤهما دموع لم تجف ولم تجر بعد ويتحدث المسجى ببطء راميا بعينيه المنطفئتين قليلا فى بريق عينى الممسكة بيده والتى تنصت رغم الزحام والضجيج لحديثه الواهن الخافت.

جاء صوت أحد الواقفين ليصمت على أثره الضجيج.

- هو دا المريض يا دكتور .

سأل الطبيب الشاب الذى كان قد وصل لتوه إلى حافة السرير وقد تصبب العرق من وجهه الطفولي.

- مين اللى بلغ عن الحالة ؟

أجابة نفس الصوت

- الست دي يا دكتور

قالها مشيرا إلى الممسكة بيد المسجى والتى كانت ما تزال تركز بريق عينيها في عيني المسجي منصتة إليه وكأن الأمر لايعنيها ثم أضاف.

- الست دي يا دكتور وقفت قدام بيتها وندهت بأعلى صوتها الحقوني يا ناس الحقوني يا عالم المصري بيموت .. الحقوني يا خلق المصري بيموت ، لحد ما اضطريت أروح لها ولما ما قدرتش أهَدّيها اتصلت بيكم.

قال جملته الأخيرة وكأنه ينفي عن نفسه اتهاما.

أمهله الطبيب آمرا بإخلاء الغرفة التي ما إن خلت حتى بدأت ملامحها تطل عليه والتي تضم إلي جانب السرير الخشبي أريكة خشبية مغطأة بكساء أخضر مزركش وتحتلها العشرات من الكتب ترتكن إلى حائط تعري من طلائه الجيري الأبيض ويعلوها نافذة أغلقت لتوها في وجه الأعين المسلطة عليها ويرقد فوق النافذة ساعة هرمة وإلى جوار الأريكة ثلاث كراسى خيزران تحتل أحد الأركان وفي أرض الغرفة كليم

بني واسع مهتريء وممزق من وسطه وتقف بأحد الأركان منضدة من دورين يسكن دورها العلوي تلفزيون موديل السبعينات ويسكن الدور السفلي راديو عجوز ويتدلى من سقف الغرفة المتساقط طلائه مصباح كهربائي وعنكبوت تدلي حتى أخر خيطه ووقف متحديا الأمر بإخلاء الغرفة ليرقب ما يحدث.

اقترب الطبيب وجلس علي حافة السرير وأمسك بإحدي يدي المسجي وتحدث بينما عيناه مركزتان علي ساعته موجها حديثه إلي الممسكة بيد المسجي الأخري وقال كمن يحدث نفسه.

- هو ماله يا ست ؟

لم يسمع غير صوت الصمت فرفع عينيه وفي نظرة سريعة خاطفة سألها رافعا صوته.

- هو ماله يا ست ؟

جاء صوتها وقوراً وجلاً خافتاً

- زي ما أنت شايف.

قالتها ولم ترفع عينيها عن عيني المسجي تحتها

- نبضه معقول

قالها الطبيب ثم أشار إلي المسعف الضخم الذي بدا في تلك اللحظة أن فكره كان يسعي خارج نطاق الحدث مما جعل الطبيب يرفع صوته حتى لايضطر للتكرار.

ـ هات جهاز الضغط.

ونظر إليها وأعاد حديثه

ـ نبضه معقول ومفيش مشكلة في القلب

وتناول جهاز الضغط وعري المسعف ذراع المسجي المعروقة والتي شاب بعض شعرها الكثيف ووجه الطبيب حديثه إلي نفسه مرة أخري.

ـ نقيس الضغط

ولف قماشة الجهاز علي يد المسجي ووضع السماعة فى أذنه ثم وضعها تحت القماشة وبدأ فى الضغط علي بالونة الجهاز بشدة ثم خفت ضغطاته وتوقفت ، زفر جهاز الضغط والجالسة أنفاسهما المحتقنة ورفع الطبيب عينيه عن عداد القراءة .

ـ ضغطه كمان معقول امال ماله ؟

وبدأ في رفع الجلباب عن ساقي المسجي وتحسس بطنه ودق علي جنباتها ثم صعدت يده بالسماعة علي صدره ووجه حديثه إلي المسجي الذي كان مازال يتحدث.

ـ بطل كلام عاوز أشوف صدرك

ونقل السماعة إلى أسفل ونظر إليه شزرا

ـ بقولك بطل كلام

ثم رفع السماعة عن صدره وقال في نبرة تهديد وهو يضغط علي الحروف وكأنه ينحتها

- بطل كلاااام

ولما كان المسجي مازال غارقا في بريق عيني الممسكة بيده مواصلا حديثه فإن الطبيب لم يكن أمامه بد من أن يوجه سؤاله إليها

- هو بيسمع ؟

- ايوه

قالتها ومازالت عيناها في عيني المسجي

- امال ما بيسكتش ليه ؟

سأل الطبيب محتدا

وأجابته بدون أن تنظر إليه

- أصله ما بيتكلمش مع أي حد غير إذا اطمأن له

أذهلته إجابتها ودفعته إلي حافة الانفجار حتى أن عينيه البريئتين السمراوين قد احتقنتا بالاحمرار بينما شفتيه الحمراوين قد بدأتا في ارتعاشة لا إرادية فأسفرتا عن صف من الأسنان الدقيقة اللامعة إلا أنه تمالك نفسه وأمرها بصبر كاد يفرغ.

- قولي له يا ست يبطل كلام

اقتربت بشفتيها المزمومتين من أذن المسجي ونادته في حنو وخفوت وقد الصقت شفتيها بأذنه

- مصري .. مصري بطل كلام

صمت مصري فأخلي صمته الغرفة للضحكة التي انطلقت من تحت

الشارب الكث للمسعف الضخم والتي أفلحت النظرة الغاضبة من الطبيب الشاب في جعلها تنسحب مخلفة وراءها ابتسامة جعلت وجهه الضخم بعينيه الغائرتين أكثر قبحا ، وضع الطبيب السماعة علي صدر المسجي في عجل محاولا إنهاء الموقف الغريب الذي لم يتوقعه ، ورفع السماعة عن صدره وخلعها من أذنيْه ، ووضعها في جهاز الضغط ثم مده إلي المسعف الذي لم تذب ابتسامته بعد ، ونظر إلى الممسكة بيد المسجي وقال منهيا مهمته في تجهم طفولي.

ـ صدره كمان كويس امال إتصلتي بينا ليه ؟ هو إزعاج علي الفاضي؟ هو إحنا فاضيين عشان تزعجينا بالشكل ده علي ما فيش؟

رفعت عينيها عن المسجي وما إن نظرت إليه بعينيها التي تملئوها الدموع حتى أحس بشعاع ينفذ من عينيها إلي قلبه مباشرة فعادت البراءة ممتزجة بالرقة إلي وجهه

ـ يا ست أنا شايف إن كل حاجة تمام وإنه مابيتوجعش وضغطه كويس ونبضه كويس وصدره كويس وكمان بيتكلم معاكي وماسك إيدك.

قال جملته الأخيرة وقد ارتسمت علي وجهه ابتسامة حانية ، ابتسامة تعتذر عن تجهمه وغضبه.

قالت ومازالت عيناها مثبتتان علي وجهه

ـ يا بنى أنا عارفة إن جسمه كويس وصحته كويسة .. هو طول عمره صحته كويسة يمرض لكن يقوم وصحته كويسة ، يتصاب لكن يقوم

وصحته كويسة ، ينكسر لكن ينجبر ويقوم وصحته كويسة ، عمر المرض ما تعب صحته ، ولا الفقر تعب صحته ولا الشقا تعب صحته لكن يا بني ..

وهربت دمعة سجنت طويلا في عينيها

ـ لكن ايه يا حاجة ؟

سأل الطبيب

وأجابته بصوت متهدج

ـ لكن يا بني .. المرة دي حاجة تانيه ، تعب شكل تاني ، تعب يخوف ، تعب خلاني أحس إنه ها يروح مني ، وأنا يا بني ماليش غيره ما اعرفش أعيش من غيره.

كانت الدموع التي حبست طويلا في عينيها قد وجدت لنفسها مجري علي خديها ومصبات في قلب الطبيب الشاب والمسعفين حتى أن أحدهما وهو أصغرهما سنا وحجما ربت علي كتفها بيده النحيلة قائلا.

ـ يا خالة وحدي الله ، خير إن شاء الله ، قولي للدكتور بس هو عنده إيه ولابيحس بـ إيه ، أو بيشتكي من إيه ، اشرحي له بس الحالة وهو إن شاء الله ربنا يجيب الشفا علي إيديه.

أنهي حديثه ونظر بإشفاق إلي المسجي الذي كانت عيناه قد علقت بالعنكبوت الرابض بين السماء والأرض ، أما المسعف الأخر فقد أحضر أحد الكراسي الخيزران الثلاث بعد أن أفرغ ما عليه من كتب ووضعه

تحت قدم الطبيب الذي ما إن رأي الكرسي حتي ألقي عليه بجسده البدين قليلا ونظر بإشفاق إليها بينما يده تخرج دفتر أوراقه وقلمه.

- اسمه ؟

- المصري أصيل عبدالوارث .

- سنه /

- تعبت من العد يا بنى

- عمله ؟

- دلوقتي ولاقبل كدا ؟

- دلوقتي وقبل كدا ؟

- هو طول عمره بيشتغل .. اشتغل صبي في ورشه وطالب لحد ما تعب وظابط في الجيش في اليمن وفي سينا البر الغربي والبر الشرقي ومدرس وفلاح في نفس الوقت وموظف في السودان وبعدين بقي ناظر وبيشتغل دلوقتي بيقرا.

سألها الطبيب متعجبا

- بيشتغل بيقرا

ايوه يا بني كان بيصلي الفجر وعلي ميعاد الشغل يلبس ويقعد علي الكرسي وقدامه الترابيزة ويقعد يقرا لحد ميعاد الشغل ما كان بيخلص وبعدين يقوم يتغذي وينام ويرجع يصحي ويقعد يذاكر زي ما كان بيذاكر وهو طالب لحد بعد العشاء وينام لحد الفجر.

بدا أن حالة من الرثاء هي التي دفعت المسعف النحيل لقطع حديثها.

- هو أنتم مالكوش عيال يا حاجة ؟

أجابته وقد ذهبت عيناها إلي مكان مجهول عبر النافذة المغلقة

- لينا يا بني .. ولد متعلم قوي .. وذكي قوي .. ومتدين قوي.. وحليم قوي .. وحر قوي .. وحازم قوي .. وشريف .. وطاهر قوي ..

كان المسعف الضخم كطفل يسأل عن رؤيا العيد

- امال هو فين يا حاجة ؟

أجابته كمن ينتظر عزيزاً عليه طال غيابه ليعتب عليه

- زمانه جي .. زمانه جي يا بني .. زمانه جي

وقطع الطبيب حالة الحلم التي سيطرت علي الجميع

- ايه اللي حصل للأستاذ مصري وخلاه كدا ؟

أخرجها سؤاله من حالة الحلم وأجابت

- قاعدين يا بني بنتعشي وبيتفرج علي النشرة لقي الجماعة الأمريكان في العراق قام منفوض وقعد يعيط ويقول هارون مات والدور عليَّ أنا ومعاوية.

سأل الطبيب مذهولا

- هارون من ؟

أجابته وكأنها تسأله .

- ما اعرفش يا بني !

وعاود سؤالها

- ومعاوية مين ؟

وعاودت امتحانه

- ما اعرفش يا بني !

تابع كمن يهرب من امتحانها

- المهم وبعدين ؟

أجابته بينما عيناها تتحسس جسد المسجي في حنو

- اترمي علي السرير واترعش كإنه محموم وقال دثريني

ردد الذعر علي لسان الطبيب صدي الجملة

- قال دثريني ؟!

أضافت

- قال دثريني وزمليني.

وعاد الصدى أكثر قوة

- قال دثريني وزمليني ؟!

قالت وقد أغضبها ذعره

- ايوه يا بني والله قال دثريني وزمليني

حاول الهرب من ذعره

- المهم وبعدين ؟

عادت عيناها تتحسس جسد المسجي

- زي ما أنت شايفه كدا

جذبته عيناها إلي المسجي

- ماله يعني ؟

أجابته وكأنها تستغيثه

- لابينام ولابيقوم ولابيفوق

قال محتجا

- بس أنا سمعته بيتكلم

أيدت كلامه

- بيتكلم يا بني لكن بيقول كلام غريب كلام فاهماه ومش فاهماه كلام عارفاه ومش عارفاه.

حاول الفهم .

- يعني ايه ؟

بدا أنها لم يعد لديها المزيد فقالت

- اسأله يا بني وأنت تعرف ويمكن تفهم

علم أنها لم يعد لديها المزيد فسألها منهيا حديثه

- الحالة دي من إمتي ؟

أجابت وكأنها تعد الأيام

- من كام يوم يا بني

قال وكأنه يعاتبها

ـ وما بلغتيش عن الحالة من يومها ليه ؟

أجابت وكأنها تعتذر

ـ يا بني أنا قلت حاجة بسيطة وهايقوم لكن لقيته بيقول كلام عن عالم غريب وناس غريبة كلام حسسني إنه ..

قالت جملتها الأخيرة وشلت قدرتها علي انتشال الكلمات من بئر دموعها فتوقفت.

قال الطبيب برقة

ـ هدي نفسك يا حاجة ، خير إن شاء الله ، واضح إنه بيعاني من أزمة نفسية أو صدمة عصبية ، لكن أنت متأكدة إن الحالة دي ما جتلوش قبل كدا ؟

ولما أجابه صمتها واصل حديثه

ـ طب يا حاجة أنا ها حاول أكلمه وهاعمل كل اللي ربنا يقدرني عليه.

وأخرج منديله ليقاوم قلقه وقلة خبرته وهجوم العرق علي وجهه فقد كان لهاثه أثناء الحوار ولهاث أذان المسعفين وأعينهم المتابعة للحوار قد جعل الغرفة أكثر حرارة ولزوجة حتى أن العنكبوت المعلق بدأ يتأرجح بحثا عن نسمة هواء في ليلة الصيف الشديدة الحرارة والرطوبة والتي زاد من حرارتها إغلاق منافذ الحجرة في أوجه الطائفين خارجها والتي كانت تشي جلبتهم بأنهم مازالوا يطوفون فأطل المسعف النحيل بعينيه

الجاحظتين من النافذة وصرخ فيهم.

- كل واحد يروح لحاله .. بلاش الغاغة اللي أنتم عاملينها دي .. الراجل بقي كويس مش عاوزين لمة علي الفاضي.

كانت السياط التي ألهبتهم بها كلماته قد جعلتهم يتفرقون علي الفور تاركين لشجرتي (الفيكس) فرصة للراحة ، ولما اطمأن أنهم غادروا ترك النافذة مفتوحة وعاد ليلزم مكانه ولتذهب عيناه إلي الطبيب ترجواه البدء في مهمة علاج المسجي الذي أحس برباط خفي يربطه به.

كانت الخطوات التي قطعها الطبيب الشاب لينتقل إلي الناحية الأخري من السرير وكأنها أميال من القلق والتوتر والإحساس بالانهزام قبل أن يبدأ ، وقطع في هذه الخطوات سنوات سبعاً قضاها في كلية الطب وخرج بعدها محملا بشهادة بتقدير جيد جدا ومعلومات في الطب النفسي ظل يبحث عنها حتى أفسحت له السيدة ليجلس مكانها في مرمي عيني المسجي وتناول يد المسجي وضمها بين يديه وبدأ حديثه بعد أن وجد ما كان يبحث عنه .

-إيه يا عم مصري .. مالك ؟

قالها رقيقة وقد ضغط يد المسجي بين يديه ، انتظرت عيناه الإجابة التي لم تأت فواصل حديثه.

- يا أستاذ مصري أنا عاوز أدردش معاك شوية .. إيه اللي أنت شوفته في النشرة ومزعلك قوي كدا ؟

ولما لم تأت إجابة من عيني المسجي لجأت عيناه إلي الجالسة في الناحية الأخري من السرير لتطلب معونتها والتي أومأت له برأسها لتشجعه علي الاستمرار ، فواصل حديثه.

ـ يا عم مصري أنا سايب الدنيا كلها وجاي عشان خاطرك .. اعتبرني إبنك وقول لي إيه اللي مزعلك ؟

واستقرت عينا المسجي أخيرا على وجهه فتشجع وواصل حديثه

ـ عشان خاطر الحاجة اللي تعبانه معاك دي.

ورفع عينيه وفي نظرة عطشي ارتشفت عيناه بعضا من الحنان من عيني الجالسة ثم ارتدت مفعمة بالحنان إلي عيني المسجي وواصل.

ـ فهمني إيه اللي حصل ؟

جاءت إجابة المسجي مغلفة بنظرات من التشكك

ـ إنك لن تستطيع مَعيَ فهما

ثم واصل تشككه

ـ وكيف تفهم ما لم تُحَطْ به علما ؟

وصمت المسجي فقفزتْ إلي ذهن الطبيب الشاب كل دروس العربية التي كانت قد سكنت جزءا مهجورا من عقله اللاواعى فوجد الكلمات تنساب من شفتيه.

ـ ستجدني إن شاء الله فاهماً ولن يعصى على فكرك

أسعدت قدرة الطبيب علي التواصل الجالسة والمسعفين وشجعت

المسجي فواصل حديثه مشترطا.

- فإن حدثتك فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا

كان الشرط قد جعل الجالسة والمسعفين يتعلقون بالطبيب يرجونه أن يوافق فوافق علي الفور سائلا

- إيه اللي مزعلك ؟

أجاب المسجي

- الحُباة

سأل الطبيب مذهولا

- الحُباة ؟!

فأشاح المسجي قائلا

- ألم أقل إنك لن تستطيع معي فهما ؟

انتفضت يدا المسعف النحيل إحباطاً وفلتت من شفتيه

- ياه دا حنا ما صدقنا

عالج الطبيب الموقف سريعا وقال وقد ذابت كلماته اعتذارا

- لا تؤاخذني بما نسيت ولاترهقني من أمري عسرا .. ولكن افهمني من هم الحُباة وما هي حكايتهم ؟

عاد وجه المسجي وقد تخمر بغلالة من الهدوء وبدأ حديثه الخافت وكأنه يسر إلي الطبيب سراً حتى أن خفوت صوته سحب أذن المسعف النحيل إلي حافة السرير ، وبدأ المسجي حديثه

ـ كانت بلدتنا هذه يا ولدي تنبت من بؤرة تشكلها الست السابقة بمقامها وهيبتها ... وغموضها .. ونذورها .. وخرافاتها .. وموالدها .. وأذرعها الممتدة في كل الاتجاهات والتي ينبت علي جانبيها بنايات طينية منخفضة متلاصقة حتى بدا المقام الشامخ وكأنه جذر نبات خرافي ضخم تزحف أفرعه الرمادية الجافة لتشكل قريتنا ، ولما رأي أهل القرية أن بيت الله المجاور للست السابعة يبدو فقيرا .. مهزوما .. هرما .. قزما بجوار مقامها الضخم فإنهم بعد أن انتصرت إرادة المتقين منهم علي إحباط وتخاذل المنافقين قرروا أن يعيدوا بناء بيت الله ليكون أعلي وأضخم وأعظم من مقام السابعة التي حذفوا لقبها خلال فترة تجديد المسجد نكاية في مقامها ، وقد تجمع لهذه المهمة معظم أهل القرية جاءوا بمعاولهم وفؤوسهم وجرارهم وإيمانهم ليبدأوا المهمة المقدسة ، وما كادوا يبدأون الهدم من الحائط الملاصق للمقام حتى أنهار الحائط وكأنه كان في انتظارهم ، ولما كان يجب أن يظهروا أساسات المسجد ليبنوا عليها فإنهم رفعوا الركام والشيخ ذو اللحية البيضاء يجوب خلالهم يبث فيهم الحماس، وما كادوا يحفرون موضع الحائط وقبل أن يسيل لعاب إجهادهم حتى ارتطمت فأس أحدهم بشيءأنّ أنّه معدنية فتجمعت قلوب أهل القرية لهذه الأنّة وانغرست أعينهم في الفأس التي لم يرفعها صاحبها وقد زغرد قلبه وتراقصت الأحلام بعقله ، ودار بينهم حوار بلا كلمات حوار بين أحلامهم وطموحهم ثم تطور الحوار إلي صراع بدأت

علي إثره الفؤوس كلها في نبش الحفرة وقد نسوا المهمة المقدسة حتي بدأت ملامح صندوق مصفح تنبت من باطن الحفرة فاحتدم الصراع بينهم حتى أن صاحب الفأس الأولى علا صراخه وارتمي علي الصندوق فجأة وصرخ جائراً أنا اللي لقيته دا بتاعي أنا اللي لقيته..

كررها كثيرا في صراخ هيستيري

فأجابه صوت مسعور وقد رفع الفأس فوقه

- البيت بيت ربنا وربنا بتاعنا كلنا وإن ما قمتش من فوق الصندوق ها أقطع رأسك بالفأس.

وتعالت الأصوات المسعورة مشهرة فؤوسها

- قوم وإلا هانموتك

وقال الشيخ ذو اللحية البيضاء

- قوم يا دنيوي .. يا منافق .. يا ابن الكلب

أجابهم وقد استمات بجسده ويديه علي الصندوق

- دا بتاعي .. دا بتاعي .. السابعة قالت لي علي مكانه ، السابعة زارتني وقالت لي علي مكانه ، السابعة قالت لي دا بتاعي لوحدي.

ورد الشيخ ذو اللحية البيضاء

- سابعة إيه يا كافر البيت بيت الله والمال مال الله وكلنا عبيد الله. وبدا أن الكلمات وإن كانت مسعورة لم تعد ترهبه وتلاقت نظرات المشهرة فؤوسهم وتبادلت الحلول وجنحوا للسلم فحملوه بعد جهد جهيد انتزعوه

من فوق أحلامه وصراخه يملأ الفضاء ودموعه تملأ صدره وطرحوه أرضا وجثم فوق صدره رجلان.

وتقدمت الأحلام تحفر حول الصندوق حتى ظهر جليا أمام الأعين وقد صفح بالكامل وعلق علي أحد أجنابه قفل ضخم أكل الصدأ جسده وتقدمت كل الأيدي لحمله فبدا خفيفا ووضع فوق ملابسهم المكومة بأحد الأركان ووقف الجميع ينظرون إليه وقد اتسعت حدقاتهم وتسمرت أقدامهم لايدرون ما هم فاعلون حتى تقدم كبيرهم وتحسس الصندوق وكأنه يلمس علي أحد الأولياء ثم هزه فأهتزت لهزه كل القلوب وقد نما إلي أسماعهم صوت ارتطام شيء ما بأركانه.

وطلب الشيخ أن ينتقوا من بينهم نقاة يتكلفون بفتح الصندوق بمكان مغلق إذ أنه لايؤمن أن يفتح صندوق كهذا في عرض الطريق ، ولما زام أهل القرية رافضين التراجع عن فتح الصندوق علي رؤوس الأشهاد طلب منهم الشيخ أن يتقوا الله ويقرءوا الفاتحة والمعوذتين والواقعة قبل أن يفتحوه ، وأجابته ألسنتهم وأيديهم المرفوعة للسماء واستغل الشيخ الفرصة وعلي التو وقبل أن ينتهوا من قراءة ما تيسر مما طلبه رفع صوته ويديه إلي السماء قائلاً

- يا أهل القرية إن أغلب الظن أن في هذا الصندوق مال وإلا ما كان صاحبه قد اهتم بدفنه في صندوق مصفح حتي لاتأكله الأرضة أو يعبث به العابثون وإن تحقق ما نظنه ونرجوه فأعلموا أن الله يعلم أنكم فقراء

وهو خير الرازقين والله يعلم أن ما جمعتموه من مال لبناء المسجد لن يكفي ليعلو المسجد عن المقام لذلك أرسل لكم هذا الصندوق لتبنوا المسجد بما فيه ولما لمحت عيناه استنكار أهل القرية وشكوكهم فيه أضاف.

- والباقى حلالا لكم يوزع عليكم للذكر مثل حظ الأنثيين كما علمنا الله ، وإن كنتم توافقون على ذلك فلنتوضأ ونصلي ركعتي شكر لله خير الرازقين ثم نفتح الصندوق علي بركة الله.

وتوضأ الجميع علي عجل والأمال تدغدغهم وأعينهم منصبة علي الصندوق واصطفوا خلف الشيخ والصندوق وأطال الشيخ في قيامه وركوعه وأطال أكثر في سجوده وأعين الصف الأول منصبة علي الصندوق وتطاولت الرؤوس من الصفوف الخلفية لتطمئن أنه مازال مكانه وبمجرد أن سلم الشيخ عن يمينه تحلقوا حول الصندوق وتقدمت فأس بيد ضخمة وأطاحت بالقفل ولهثت الأنفاس وصمتت الأصوات وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وبدأ الشيخ في إزاحة غطاء الصندوق.

وهو يبسمل ويحوقل في تبتل ورُفِعَ الغطاء فذهل الجميع وبعد لحظات علا صوت أحدهم.

- يا هوه كل دا عشان شوية ورق .. هيه ناقصة ورق .. ؟!

وركعتين شكر ، وكمان خناقة .. وواحد كان هايموت .. عشان شوية ورق ! الله يخرب بيت اللي حطه .. وصندوق مصفح وقفل قد الداهية ..

ونص يوم راح عشان شوية ورق ! الله يخرب بيته وبيت أبوه.

ـ كان الصندوق يحتوي علي مجموعة من الأوراق الصفراء كبيرة الحجم مرصوصة فوق بعضها البعض ككتاب .

إلا أن الكنز الذي كان سيفوز منه بنصيب الأسد أنطق الحكمة علي لسان كبيرهم فالحكمة ليست دائما من أفواه الصالحين.

ـ اخرس ياوله لما نشوف ايه اللي في الورق الأول مش يمكن يكون فيه وقف لبيت الله أو لأهل البلد .

أعادت كلمات الكبير ماكينة الأحلام إلي الدوران والأنفاس إلي اللهاث ثم واصل حديثه موجهه إلي الشيخ.

ـ اقرأ يا مولانا

ـ ما أنا بقاريء يا سيدنا

ـ اقرأ يا مولانا

ـ ما أنا بقارئ يا سيدنا

ـ اقرأ يا مولانا

ـ يا هوه ما أنا قلت ما أنا بقارئ يا سيدنا

كان الطمع والرغبة المحمومة من الكبير لمعرفة ما يحويه الورق قد أنسته أن الشيخ تعلم القرآن شفاهة وأنه لايجيد القراءة ، وأرسلت الأبصار تبحث عن من يمكنه القراءة ولما ارتد البصر خاسئا وهو حسير تذكر أبي أنني أجيد القراءة وتذكر أيضاً أنه صحبني معه منذ الصباح لأتبارك بالمشاركة في هذه المهمة المقدسة ، وأحس أبي أنه ضمن نصيبا

من الوقف وضمن مكانا في الصدارة طالما أن ابنه من سيقرأ الأوراق ونادي أبي بسعادة لم أحسها في صوته من قبل.

- يا واد يا مصري .. يا واد يا مصري .. يا واد يا مصرى

كانت السعادة في صوت أبي غير كافيه لإنزالي من فوق الشجرة التي ألجأني إليها صراعهم علي الكنز المزعوم إلا أن تعالي الأصوات مرددة نداء أبي.

- يا مصري .. يا مصري .. يا مصري.

قد جعل الطيور التي اختبأت هي الأخري بين غصون الشجرة تفر هاربة مما لفت النظر إلي ، وجذبتني نظرة أبي الآمرة من فوق الشجرة إلي جوار الصندوق وجسدي كله يرتعش كفرخ نسي تحت المطر في ليل الشتاء، وتناولت الورقة التي تأملها الجميع وحاول الكبير استنطاقها فلم تنطق ، الخط الواضح الجميل الذي كتبت به الورقة أشعرنى بالهدوء فلم يكن بالورقة سوي زخرفة تشبه زخرفة المصحف الذي رأيته يوما بين يدي الشيخ عبدالموجود الذي لم يكن موجودا لدراسته بالأزهر وكان في وسط الورقة بضع كلمات نقشت بخط كبير وكان بها

الحُباة

كتبه المنتصب واقفا فلان بن فلان

وأعطيت الورقة للكبير الذي ذهل من سرعة رد الورقة إليه وقلة الكلمات بها فسألني متشككا

- بس كدا ؟

فأجبته مدافعا عن نفسي

- هو دا اللي فيها

فزام وناولني الورقة التالية بعد أن استنطقها فلم تنطق فكان بها

مقدمة

لا أدري هل يصل كتابي هذا إلي الأيدى وقد أصبح الحُباة تاريخا أم يصل إلي الأيدي ومازال الحُباة يحكمون ، علي العموم الفيصل في هذا لمن يقرأون هذا الكتاب فلهم وحدهم أن يحددوا إن كان الحُباة قد أصبحوا تاريخا أم لا ، ولقد وصفت في كتابي هذا كيف بدأ الحُباة وكيف كانوا يحكمون وكيف كانت أحوال الناس حتى لا يزيف التاريخ فلكم زيف الحُباة التاريخ جيلا بعد جيل وكتبوه من إملاءات حكامهم.

المنتصب واقفا فلان بن فلان

كانت المقدمة قد طردت كل الأحلام التي سكنت عقول أهل القرية وهدمت كل البيوت التي بنيت والأراضي التي اشتريت والديون التي سددت .. ورفعت رأسي إلي الكبير انتظر أمره ، وقد كانت فكرة الوقف قد تملكت من الكبير واحتلت كل كيانه فأعطاني ورقة أخري قائلا:

- اقرأ لحد أخر ورقة يمكن يكون فيه وقف في أي ورقة

أسعدتني رغبة الكبير في أن أقرأ كل الأوراق التي يحتويها الصندوق فلقد كان التفاف الناس حولي وتمركزي في بؤرة الظل التي كونتها

أجسادهم المتحلقة حولي قد أنقذني من لهيب الشمس الحارق الذي ألهب كل الواقفين وجعلهم يحتمون بملابسهم برفعها علي رؤوسهم مما أشعرني أنني في زمن كانت العمامة فيه هي السائدة وبدأت القراءة علي الفور.

مقدمة لابد منها

« كانت ولايتنا هذه لمن لايعرف جزءا من إمبراطورية ضخمة تتكون من إثنتين وعشرين ولاية ، وكانت الإمبراطورية بخيرها الوفير وعلمها وعلمائها وحكمائها ومفكريها وشعرائها وأدبائها وتقاليدها ودينها وطيبة أهلها ونشاطهم تقود الدنيا ، وقد توارثها حكام عظام حتى أوقعها سوء حظها في حاكم كان لايملك القدرة والبصيرة والحكمة لقيادتها بالعدل فقادها بيد من حديد ، وتجمع حوله مستشارو السوء فعلقت المشانق وسيق الناس إلي السجون زمرا وخرست الأصوات وتعالت صيحات النفاق وساءت حالة البلاد والعباد ، ولم يكن الحاكم يحس بآلام الناس وقد كان يجمع الأموال فيكنزها وقد طال حكمه حتى عم الغلاء وحط علي الناس البلاء وباع الضعفاء نفوسهم والشرفاء بعض أجسادهم.

أنهيت الورقة وشيعتها العيون المحبطة وأنا أناولها للكبير، وإنه وإن كانت المقدمة التي لابد منها كما رأي فلان ابن فلان قد جعلت المتحلقين حولي أكثر إحباطا إلا أنها لم تكن كافية لتقضى على أملهم الذى غرسه فيهم الكبير بأن يكون في الأوراق وقف.

أما الكبير فلقد ألقت عليه المقدمة هما ثقيلا وأضرمت بداخله نيران

هواجس وشكوك لم يكن لأحد من المتحلقين حولي أن يحس ضراوتها.

فلقد دربته الأيام أن ذكر الحكام بسوء - وخصوصا أن الأوراق لم تحدد زمنا - يثير المتاعب وقد أصبحت الأوراق هما ثقيلا علي فكره فهو إن سلمها للجهات الحكومية فلن تدعه الجهات الأمنية يذهب لحاله دون أن يعلموا من وضع هذا الكتاب ومن هو فلان بن فلان مؤلفه حتى وإن أقسم لهم واستشهد بأهل القرية أنهم وجدوه مدفونا وأنهم لايعلمون من هو فلان بن فلان هذا وأنهم حتى لايعلمون من بني المسجد القديم فلن يصدقوه ، وهو إن أخذ الأوراق ولم يسلمها فربما يشي به أحد خصومه وهم كثير فيصبح الهم همين وهبطت علي رأسه فكرة أطفأت نيران هواجسه وهي أن يحرق الأوراق والصندوق فيريح ويستريح إلا أنه تذكر أن أهل القرية الذين استعمرتهم فكرة الوقف اللعين التي غرسها فيهم بطمعه وغبائه لن يدعوه يحرق الأوراق دون أن يتأكدوا أنه لا يوجد بها وقف إذن ليترك هؤلاء يسمعوا ما تحتويه الأوراق حتي إذا تبخرت فكرة الوقف تبخرت معها أحلامهم وعندها يمكنه حرق الأوراق بل أنهم من سيطلب ذلك من تلقاءأنفسهم ، ولما اطمأن إلي هذا الحل طفت ابتسامة علي صفحة وجهه المكتنز الضخم المشرب بالاحمرار واعتدل في جلسته إلي جواري واتكأ بإحدي يديه علي عصاه وناولني ورقة باليد الأخري دون أن يستنطقها وقال

- اقرأ يا مصري ، اقرأ يا بني ربنا يكرمك.

وتناولت الورقة فكان بها

صفحة رقم (١)

ولم يكن يؤرق الإمبراطور سوي أنه لم يرزق بوريث لملكه أو وريثه لعرشه وقد زاد أرقه بعدما أقنعه مستشاروه أنه كلما تقدم به العمر فإن الضعف سيتملك منه وعندئذ لايؤمنّ شر الغوغاء وطمع ضعفاء النفوس في ملكه وقد يفلت الزمام ويصل إلي الحكم من لايؤمن شره ولايدري ما يفعل حينئذ بمولانا الإمبراطور ورجاله المخلصين له وللإمبراطورية ثم إن مولانا الإمبراطور لا يضمن ولايمكن أن يضمن أن من سيتولى الحكم من بعده سيحافظ علي إنجازاته ولن يلقي بالإمبراطورية في .. أتون حروب واجبة .. ليست الإمبراطورية معدة لها بعد ، ثم إن مولانا الإمبراطور لايمكن أن يجد من يحافظ علي شرع الله مثله ومن يملك حكمته وبعد نظره أما إذا كان من سيحكم بعده ابنه فإنه سيكون قد دربه وأهله وعلمه لتولي هذه المسئولية الضخمة وليقود سفينة الأمة إلي بر الأمان كما قادها ويقودها مولانا الإمبراطور ، ومن أولي بالملك من شاب نشأ في بيت ملك ؟

وهكذا طلب الإمبراطور من مستشاريه ووزرائه البحث له عن علاج ناجع مهما تكلف الأمر .. وعقد رئيس الوزراء اجتماعا وزاريا طارئا وقال وزير المالية.

- إن علاج مولانا الإمبراطور من عقمه وإنجابه لملك جديد واجب قومي

ويجب أن ينفق علي هذا العمل من الخزانة العامة لأنه في صالح الأمة.

وأيده كل الوزراء والمستشارين وتحدث رئيس الورزاء منفعلا

- إن وزير المالية تطرق إلي جانب واحد من الموضوع وهو أمر مفروغ منه إذ أن علاج مولانا الإمبراطور وفي كل الأحوال يجب أن يكون من الخزانة العامة فما بالكم إن كان علاج مولانا يتعلق بمصير هذه الأمة ومستقبلها ، ولكن الموضوع يجب أن يتم تناوله بشكل إستراتيجي وبخطط طويلة المدي وخطط متوسطة المدى وخطط عاجلة ويجب أن يكون لكل وزارة دور فى هذه المهمة القومية.

وتناول وزير الخارجية طرف الحديث

- إن دور وزارة الخارجية الهام في الموضوع يتمثل في بذل قصارى جهدها من خلال سفاراتنا وقنصلياتنا ومكاتبنا في الخارج في البحث عن العلاج في كافة أقطار المعمورة.

وامتدحه رئيس الوزراء مما أغاظ وزير الصحة فاندفع قائلا

- إن دور وزارة الخارجية سيظل قاصرا وغير مجد ما لم يحدث تعاون بين وزارة الصحة ووزارة الخارجية إذ أن وزارة الصحة لن يقتصر دورها علي محاولة البحث عن علاج محلي بل أنها سترسل خيرة خبراء العقم لديها ليرأسوا عملية البحث الجارية عن علاج خارجي عن طريق وزارة الخارجية.

وهلل رئيس الوزراء لهذا الطرح مما جعل وزير الاقتصاد ووزير المالية

يتحدثان بصوت واحد.

- إن الدعم المالى المطلوب لهذه المهمة القومية سوف يكون الشغل الشاغل لوزارتينا وسوف ندبر ما يلزم من أموال مهما تكلف الأمر.

وشكرهما رئيس الوزراء فتدخل علي الفور وزير الإعلام.

- يا سيادة رئيس الوزراء إن هذه المهمة القومية هى المهمة الأساسية بل الوحيدة من الآن فصاعدا لجميع أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

وامتدح رئيس الوزراء هذه الرؤية الرائعة لوزير الإعلام وأمر باقي الوزراء بالبحث عن كل ما يمكنهم عمله للمساعدة في هذه المهمة القومية، والتي أضاف كبير الدعاة أنها ليست مهمة قوميه فقط بل أنها مهمة قومية مقدسة .. وانتهى الاجتماع بأن طرح رئيس الوزراء اقتراحا قوبل بالتصفيق الحاد علي الفور وهو (إنه ولما كانت هذه المهمة القومية المقدسة تستهدف صالح هذه الأمة فإنه لايجب منع الشعب من المساهمة فيها وبالتالي نقترح فتح باب التبرع أمام كافة المواطنين لندع لهم الفرصة ليثبتوا مدي ولائهم وانتمائهم لهذه الإمبراطورية ولمولانا الإمبراطور المعظم).

بمجرد أن انتهيت من قراءة الورقة وقبل أن تصل إلي يد الكبير شق الصمت صوت أجش صارخا.

- أنت بتاع الغلابة يارب .. أنت بتاع الغلابة يارب.

ورد الكبير

- أخرس ياوله أمال كانوا يسيبوا جلالة الإمبراطور من غير ولاد دا حتى يبقي حرام.

وقال الشيخ ذو اللحية البيضاء

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اطلبوا العلاج ولو في الصين».

- صحيح الحديث الشريف الذي حرفه الشيخ (اطلبوا العلم ولو في الصين) -

وتعالت الأصوات مرددة

- صلى الله عليه وسلم .

- عليك الصلاة يا نبي

- اللهم صلي وبارك عليه

وقال صاحب الفأس الأولي

- الصلاة والسلام علي جد السابعة وأبو الطاهرة.

وقطع تبتلهم صاحب الصوت الأجش

- طب كانوا عالجو فرج اللي راقد في داره وبطنه قدامه شبرين ولاحيلته مال ولاعيال.

وانفعل الكبير

- يا بهيم هم مالهم ومال فرج إش دخل فرج في مولانا الإمبراطور

وبعدين دي حكاية عن ناس تانيه .. دي حكاية عن ناس تانيه .. دي حكاية عن ناس تانيه .

كرر الكبير جملته الأخيرة وهو يهز الورقة ويمدها في وجوههم ليبعد أي محاولة قد تطرأ علي ذهن أحد للربط بين المكتوب بالأوراق والمكتوب علي جبين المتحلقين حولي.

وأخرست كلمات الكبير البذيئة الصوت الأجش والأذان التي فتحت لكلماته ، وقطع الكبير الصمت الذي أحدثه سبابه للأجش وتناول ورقة من الصندوق وناولني إياها قائلا :

- اقرا يا بني اقرا وخلصنا من الغاغة دي

وتناولت الورقة وكان بها

صفحة رقم (٢)

وبدأت الوزارات في عمل دائب للبحث عن علاج للملك العقيم وخلقت كل وزاره لنفسها دورا وبدأت الحملة الإعلامية وجندت كل أجهزة الإعلام لحشد التأييد الشعبي لهذه المهمة وأعلن عن فتح باب التبرع أمام كل من يرغب كلا حسب مقدرته ، وأمام شاشات التلفزيون وفي حضور جمع من الوزراء تبرع تلميذ بمصروفه وتبرعت تلميذة بحلقها وأهدت أخري وردة بيضاء وتمنت لجلالته الشفاء عبر التلفزيون وتبرع المنافقون ونشرت أسماؤهم فى الجرائد وأمام كل اسم المبلغ الذي تبرع به ورفضت

الغالبية العظمي من الشعب التبرع وقد برز ذلك أحد كتاب الإمبراطور المقربين بقوله (إن عدم تبرع الشعب لعلاج مولانا الإمبراطور المعظم ليس دليلا علي أنهم يرفضون أن ينجب مولانا المعظم ملك من صلبه يرث الإمبراطورية من بعده ويسير علي نهجه كما يروج المغرضون ولكنه دليل علي أن الغالبية العظمي من أبناء الأمة عاجزون عن فهم حكمة مولانا وبعد نظره وهذا قدر القادة العظام الملهمين فإنه قليل من الناس من يستطيع فهم ما يرمون إليه إلا بعد مرور سنوات وسنوات وحتى تثبت الأيام مدي حكمة هؤلاء القادة العظام الملهمين وعلي رأسهم مولانا المعظم) وأمام إصرار الشعب علي عدم التبرع تقرر فرض رسم علاج مولانا الإمبراطور علي كل المتعاملين مع مصالح الإمبراطورية وعلي التلاميذ في المدارس وعلي الصادرات والواردات وعلي الإنتاج والاستهلاك وعلي تذاكر القطارات والأتوبيسات وكانت الرسوم تتزايد وتتضاعف كلما باءت محاولات علاج مولانا الإمبراطور بالفشل وقد استمر الحال أياما وشهورا ولاحديث إلا عن علاج مولانا الإمبراطور ولا صوت يعلو فوق صوت علاج الإمبراطور وكان علي رأس الحملة كبير المستشارين الذي بعد أن فشلت كل الأدوية والعقاقير والجراحات في علاج الإمبراطور اضطر للجوء للعرافين . والعرافات والدجالين والدجالات بل وإحضارهم إلي حضرة مولانا الإمبراطور وعمل حفلات زار ليرقص فيها جلالة الإمبراطور ولم تفلح كل

هذه المحاولات في علاج الإمبراطور العقيم حتى دب اليأس في قلوب المحيطين به وأعلنوا بين أنفسهم عن فشل المهمة القومية المقدسة وإن كانت الجرأة لم توات أحد منهم للإعلان عن ذلك للملك أو للعامة ، إلا أن خبرا تنامي إلي سمع كبير المستشارين جعله لايفقد الأمل حيث أخبره أحد العرافين عن رجل يعيش في غابات إفريقيا يداوي العقم بدماء القرود فأمر كبير المستشارين أن يحضر هذا الرجل علي وجه السرعة ومهما طلب من أجر ومهما تكلف الأمر ، ولم تعد الرسوم تكفي فأضيف إليها ضرائب حتي حضر هذا الأفريقي الأفطس الضخم الأسود والذي اضطر كبير المستشارين أن يحضر أربعين مترجما ينقلون قوله من لغة إلي لغة حتى يصل إلي اللغة العربية وأكد الأفريقى بعد الكشف علي جلالة الإمبراطور أنه يملك العلاج ، وحقن الأفريقي الإمبراطور بدماء القرود وطلب منه أن يجامع زوجاته لمدة اثنتين وعشرين يوما علي شرط أن لايجامع أكثر من امرأة في اليوم وأن لا يجامع المرأة الواحدة إلا مرة في الاثنتين وعشرين يوما معني ذلك أن الإمبراطور يحتاج إلى اثنين وعشرين أمرأة وأفتي الشيخ أنه يحل للملك أن يملك ما يشاء من ذات اليمين وأحضر للملك ثلاث زوجات بجوار الإمبراطورة وثمانية عشر جارية من كل أنحاء الإمبراطورية ومن خارجها وتضاعفت الرسوم والضرائب وأضيف إليها عمولات ورشاوى وضاقت الأرزاق وشحت

الوظائف.

ـ عشا الغلابة عليك يارب .. عشا الغلابة عليك يارب

صرخ بها نفس الصوت الأجش الذي أخرسه الكبير منذ قليل وتلاه صوت يقلقل نهايات الكلمات كلها

ـ دم قرودد دم م غزال ل دم م جن ن والله ما ا نافع ع معاه حاجة

وجذب طفل صغير جلباب أبيه متسائلا هو ايه الأفريقي دا يابا

وأجابه أباه

ـ زي عمك خير الله العبد

أحدث ذكر خير الله العبد بجسده الفارع الطول وبشرته السمراء وأنفه الأفطس وأسنانه البيضاء اللامعة والكرباج الذي لايفارق يده والذي يسوق به جمال العمدة الرعب في قلب الصغير فاختبأ خلف أبيه وكأن الأفريقي سيقفز من الصندوق ليلهبه بالسوط، وثار الكبير الذي أزعجته الهمهمات التي سرت بين المتحلقين فصرخ فيهم.

ـ يا ناس ارحموا خلوا في قلوبكم رحمة يعني كانوا يسيبوا الإمبراطور من غير ولاد.

وتناول الشيخ طرف السوط من الكبير

ـ وتعاونوا على البر والتقوي ولاتعاونوا على الإثم والعدوان إن شاء الله وبإذن الله هايخلف.

- إن شاء الله وبعون الله ماهايشوف طرف عيل هم العيال ينشروا يا ناس ؟!

تحداه بها صاحب الصوت الأجش والذي كان ما يزال صوتاً بلا جسد حيث أن جسده كان مختبئا وسط المتحلقين.

وتضاعف انفعال الكبير فانفجر فيه قائلا

- كل واحد يحط لسانه جوا بقه ويسكت واللي عاوز يسمع يقعد زي البلغة خلينا نخلص ونشوف ورانا إيه ولا أنتم استلديتم القعدة وها تسيبوا بيت الله كدا.

بدا الشيخ ذو اللحية البيضاء وكأنه تذكر بيت الله فجأة فندب قائلا

- بيت الله يا عالم .. بيت الله يا هوه .. بيت الله اللى هديتوه بيت الله.

لم يعجب الكبير عواء الشيخ فزجره

- خلاص يا شيخ أنت هاتندب

وزجرني الكبير قائلا

- اقرا بسرعة اقرا

وناولني ورقة فكان بها

صفحة رقم (٣)

ومرت ثلاثة شهور والشعب في حالة ترقب لما ستسفر عنه محاولة

الإفريقى لعلاج الإمبراطور حتي بدأ اليأس يدب في قلب الإمبراطور وقلوب المحيطين به ولكن ذات صباح ظهرت بشائر الحمل علي كل زوجات الإمبراطور وجواريه و..

- الله أكبر

انطلقت الصيحة بجوار أذني فأرعبتني أطلقها الشيخ ذو اللحية البيضاء وتبسم الكبير ومن بين قسماته التي أضغنتها الابتسامة أشار لي أن أكمل القراءة فأكملت .

- وبدأت الأفراح والأعياد وشحت الأقمشة لما علقت اللافتات علي كل البيوت وانتشرت التهاني في الصحف وطيرت البرقيات وقطعت كل برامج التلفزيون واديرت الأغاني الوطنية وعقدت الندوات وحلل المحللون السياسيون مدي الاستقرار الذي سيحدثه الحدث وعلق المعلقون الاقتصاديون علي الحدث باعتباره السبب الرئيسي في الارتفاع الذي ستشهده البورصة والتدفقات الاستثمارية التي ستغمر البلاد عما قليل بسبب تأكد المستثمرون من استمرار حالة الاستقرار الذي تشهده البلاد بسبب هذا الحدث العظيم وعقدت الند وات عن العلاج بدماء القرود بل إن بعض الأثريين ذهبوا إلي أن العلاج بدماء القرود وجد منقوشا علي بعض الآثار.وأعطي كل من شارك في هذه المهمة القومية المقدسة النياشين ومنح الإفريقي أجره ونيشان والجنسية وتضاعفت الرسوم

وتضاعفت الضرائب وندرت السلع وأصبحت الوظيفة ضرب من الخيال وباع الشرفاء أجسادهم وباع الضعفاء نفوسهم وبعد تسعة أشهر وضع أول مولود لجلالة الإمبراطور فكان يوم وأي يوم طلع جلالته علينا عبر التليفزيون ومد الطفل إلي الكاميرا وقال وقد تحجرت الدموع في عينيه

- إنني أهدي هذا الطفل إلي هذه الأمة الولادة

وقد تكررت مرات ظهور الإمبراطور ومرات الإهداء اثنتين وعشرين مرة وأمام إلحاح أحد كتاب الإمبراطور قرر جلالته إمعانا في تقديره للتأييد الشعبى الجارف لمهمة علاجه أن يجرى اقتراعات عامة لاختيار أسماء ولاة العهد فمن حق الأمة أن تختار اسم من يحكمها من بعد جلالته وقد امتدح رئيس تحرير إحدى الصحف القومية هذا القرار لجلالة الإمبراطور بقوله (إن جلالة الإمبراطور لم يكتف بما أرساه من حقوق سياسية تفخر بها أمتنا عن الأمم المجاورة بل إن جلالته أرسي حقا سياسيا جديداً سيظل محفوراً باسمه وبحروف من نور علي جبين التاريخ ألا وهو حق الأمة في اختيار اسم من يحكمها من بعد جلالته).

ولكن بعض من جلس وشارك في هذه الاقتراعات أقسموا أن هذه الاقتراعات كانت مزورة هي الأخري وأنهم في كل مرة كانوا يجبرون الناخبين علي اختيار اسم معين ويبدو أن الاسم كانت تختاره الأم وليست الأمة.

ومر عامان وأخبار أولياء العهد تملأ الصحف والإذاعة والتلفزيون.

ـ ضحك اليوم ولي العهد الرابع عشر.

يكون هذا في مناسبة دينية

ـ بكي اليوم كل أولياء العهد بلا استثناء

يكون هذا في حالة وقوع كارثة

ـ نقل اليوم ولي العهد الخامس إلي المستشفى

ـ كانت أمه قد رشت وزير الإعلام ليذيع النبأ الغير صحيح لتكسب تعاطف الشعب مع ابنها.

ـ قرر اليوم ولي العهد العاشر ـ عام ونصف ـ منح وسام رفيع للبطل القومي الذي حصل علي الميدالية التي طال انتظارها في الألمبياد.

ـ استقبل اليوم كل أولياء العهد ـ عامان ـ السيد رئيس الوزراء والسادة الوزراء وكبار رجال الإمبراطورية ليتلقوا منهم التهنئة بمناسبة عيد الجلوس.

وفي نهار أحد الأيام قطع البث التلفزيوني واذيعت الأغانى الوطنية وتحلق الشعب حول الشاشات وبعد ما يناهز الساعة أطل علينا مذيع اكفهرت ملامحه قائلاً.

أيها السادة إليكم النبأ التالي (تجري الآن وتحت إشراف طبي عالمي عملية الختان لأولياء العهد حفظهم الله).

ودوت ضحكة من صاحب الصوت الأجش ملأت الفضاء وتبعها قائلا

- حفظهم الله

وتلتها ضحكه أخري أقوي من أختها تلتها ضحكات من المتحلقين حولي حتي أن صاحب الصوت الأجش ظل يردد

- حفظهم الله .. حفظهم الله .. حفظهم الله

وقد استلقي علي ظهره مؤرجحا قدميه في الهواء وانتابت المتحلقين حالة هستيرية من الضحك فضحكت فلكزني الكبير في جنبي.

- اقرا وسيبك منهم اقرا

وناولني ورقة

ولما ترددت في القراءة لكزني بعصاه

- أقرا يا بن الكلب وعلي صوتك

فقرأت

صفحه رقم (٤)

- مضي الحال علي هذا المنوال عدة شهور ثم سمع من إحدي الإذاعات الأجنبية خبر قصير فحواه أن جلالة الإمبراطور سحب النيشان من الإفريقي وكذلك الجنسية التي لايستحق شرف الانتماء إليها وتم طرده من الإمبراطورية وانقطعت أخبار أولياء العهد من الصحف والمجلات والتلفزيون وألغيت مسابقة كانت قد نظمت لاختيار اثنين وعشرين طفلا

من أبناء الشعب ليقضوا عدة أيام في ضيافة أولياء العهد .

ـ كان المتحلقون قد حلت عليهم غلالة من الترقب وقد اقتربوا من حولي حتي أني تلعثمت في القراءة

وبعدها بأيام سمع من نفس الإذاعة خبر إلقاء القبض على كبير المستشارين وإيداعه السجن.

ـ زاد الترقب علي وجوه المتحلقين واقتربت آذانهم أكثر وعمهم صمت مهيب ـ وعُلم بعد أن كذبت الإمبراطورية هذه الأنباء مرارا أن الأنباء صحيحة وعُلم أن السبب في ذلك يرجع إلي أن الإفريقي الذي حقن الإمبراطور بدماء القرود والذي أنجب الإمبراطور علي يديه اثنين وعشرين وليا للعهد في زمن قياسي عُلم أن هذا الإفريقي المطرود تجاهل ويأمر من كبير المستشارين المودع في السجن أن يبلغ جلالة الإمبراطور أن الأطفال المولودين بهذا العلاج لا يستطيعون الانتصاب علي أقدامهم وأنهم يمشون طوال عمرهم كالقرود.

ـ يا خلفة الندامة .. يا خلفة الندامة أطلقها صاحب الصوت الأجش وتحلق حوله المتحلقون وظلوا يصفقون له وهو يرقص ويشير إلي الشيخ ذو اللحية البيضاء الذي نكس رأسه بعد أن تفل علي يساره ثلاثاوكأنه يطرد أحد الشياطين أما الكبير فلم يجد بدأ من أن يقف وقد احمر وجهه

- بطل يا عم مصري

واحتقنت الدماء فـ ..

- بطل كلام يا عم مصري

وصرخ فيهم ...

اقترب الطبيب الشاب من أذن المسجي وناداه بحنو وخفوت

- بطل كلام يا عم مصري

وتوقف مصري عن الحديث

وذهبت توسلات المسعف النحيل للطبيب الشاب أن يدع المسجي يكمل حكايته سدي على الرغم من أن توسلاته كانت مشفوعة بتوصية من عيني الجالسة والمسعف الضخم

وقال الطبيب موجها حديثه للجالسة

- لازم أتصل بحد من أساتذتي .. الراجل بيهذي

بدا أن الكلمة أحدثت صدمة لدي الآخرين فأضاف الطبيب الشاب

- والعجيب إنه بيهذي بكلام دقيق جداً ، دي حالة .. دي حالة غريبة أنا مادرستهاش وعمري ما صادفتش زيها في شغلي لازم أتصل بحد من أساتذتي المتخصصين في الطب النفسي عشان أبقي مطمن إني بعالجه صح.

ولم ينتظر الطبيب التأييد الذي صدر من الجالسة وأخرج التليفون

المحمول النائم في جرابه وأيقظه بضربات علي أرقامه وبعد لحظة من الترقب تحدث في شي من الرهبة

- سلام عليكم.

- ....

- ايوه يا دكتور أنا يسري ذكى تلميذ حضرتك .

- ....أسف يا دكتور . أنا عارف إن الوقت متأخر .. لكن الحالة مستعجلة ومفيش حد يقدر عليها غير حضرتك

- ....

- الحكاية بسرعة إن المريض اللى قدامي بقالة أيام راقد على السرير وما بيتحركش وفي حالة غريبة لا هو نايم ولا هو صاحي ولاهو فايق.

- ....

- سألته يا دكتور إيه اللي مزعلك وبعد محايلة ومناهدة حكي لي حكاية غريبة حكاية عن ناس حُباة وملك ووزراء ومستشارين ومسجد وكبير وشيخ بلحية بيضاء وإفريقي وصندوق وناس ومقام وأولياء عهد ومهمات قومية ومهمات مقدسة.

أكمل له المسعف الضخم مبتسما.

- ودماء القرود.

فردد الطبيب الشاب

- وكمان علاج العقم بدماء القرود.

- ....

- أيوه يا دكتور والله العظيم علاج العقم بدماء القرود.

فلتت ضحكة من فم الطبيب الشاب يبدو أنها كانت تكمل أخري من أستاذه.

- ....

- لكن يا دكتور كلامه دقيق ووصفه دقيق

- ....

- توجهت رأس الطبيبالشاب إلى الجالسة متسائلا

- هو كان بيتعاطي مخدرات أو خمرة ؟

أجابته وقد أفزعها سؤاله فرفعت صوتها ليسمعه الراقد بالهاتف

- لأ عمرة .. عمرة ما أتعاطى مخدرات

- ....

- ولامسكنات ؟

- إدوا له مسكنات كتير لكن ما كانتش بتسكن آلمه

- ....

- أمبول واحد يا دكتور كل نص ساعة ؟

- ....

- وها سأله نفس السؤال ؟

- ....

- يعنى أخليه يكمل نفس الحكاية

- ....

- ألف شكر يا دكتور مع ألف سلامة سعادتك مع ألف سلامة

وعاد المحمول إلي نومه ، وقطعت النظرات المتلهفة إلي معرفة نتيجة الاتصال الطريق علي الطبيب الشاب فتوقف عن ذرع الحجرة ذهابا وعودة وبإشارة من الطبيب تقدم المسعف الضخم ليناول الطبيب المحقنة وزحفت الجالسة وعرت ذراع المسجي وحقنه الطبيب فلم يتأوه.

- أمبول فاليوم عشان يهدي وينام .. نص ساعة ونشوف هاينام ولا لأ.

قالها الطبيب ليرد بها علي العيون المتسائلة وساد بعدها صمت حول الغرفة إلي جزر منعزلة ، فالمسعف الضخم جذبه الراديو العجوز فذهب يعبث بأزراره ، الجالسة والمسجي انعزلا في جزيرتهما وألقي كل منهما شراعه في مرسي عيني الآخر ، والمسعف النحيل جذبته النجوم الساهرة فى سماء الليل تجتر ذكرياتها فطارت عيناه إليها عبر النافذة ، ويبدو أن العنكبوت تذكر عشائه المعلق في بيته فزحف إليه.

أما الطبيب الشاب فقد استرخي علي كرسيه وتعلقت عيناه بالمسجي

الذي أعاد لفكره ذكري أبيه الراحل منذ شهور والذي رقد نفس هذه الرقدة أسبوع واحد في غرفة العناية المركزة بالمستشفي العام رقد أسبوعاً صامتاً لايتحدث منه سوي عينيه المطفئتين ، لقد كان في نفس عمر المسجي تقريبا يا تري هل هي نفس الحالة حالة جيل كامل جيل (ماسك الهوا بإديه) كما سماه الشيخ سلامة الجزيري صديق أبي العزيز في أخر زياراته لأبي قبل وفاته ولما سأله أبي يعني ايه جيل (ماسك الهوا بأديه) قال له علي مسمع منا يعني شبيتم في حضن ثورة وخضتم حربين في سينا وحرب في اليمن وجربتم الليبرالية والاشتراكية وجربتم الانفتاحية وشقيتم طول عمركم وفي الآخر ما لقيتوش في ايديكم غير الهوا طب هو مطرب الجيل مش قال لكم وأتاريني ماسك الهوا بإديه هو كان بينبهكم بس أنتم اللي ماخدتوش بالكم وجايين دلوقتي تشتكوا ما أنتم اللي .. لا مؤاخذة.

وضحك جسد الشيخ سلامة فالشيخ سلامة لم يكن ضحكه من شفتيه أو من عينيه بل عندما يضحك يزم شفتيه ويهتز جسده كله كمن مسته كهرباء ، وابتسم أبي وتنهد وتفل من النافذة فسقطت تفالته علي عشة مهجورة وتجولت عيناه في الشارع كمن يبحث عن شيء أو كمن ينتظر قادماً لم يأت أبدا وكانت هذه عادة أبي عندما يحس بالانهزام ويريد أن يغير موضوع حديثه مع الشيخ سلامة صديقه الوحيد الباقي من أيام

الطفولة أما أصدقاء طفولته الآخرين فقد تساقطوا في رحلة يزيد طولها عن عشرين ألف يوم مما تعدون.

توفي أحدهم ولم يقطعوا من الرحلة بضع سنوات توفي غريقاً في ترعة النعناعية القريبة من منزلنا وظلت أمه تؤكد حتى لحقت به أن ابنها لم يمت غريقا بل مات مقتولا وأن من قتلته هي الجنية التي تسكن أسفل الكوبرى والتي كانت تريد الزواج من أبيه والذي رغم ما وعدته به من كنوز وعلي فقره رفض الزواج منها فتوعدته وتربصت به وبأبنائه وأن ابنها الفقيد لم يستمع لتحذيرها له بعدم الاقتراب من الكوبري وأقسمت وظلت تقسم طوال حياتها أن ابنها لم تمس قدمه الماء وأن الجنيه العاشقة مدت يدها ذات الأظافر الحديدية وجذبت ابنها من الشاطئ وأنزلته تحت الماء انتقاما من أبيه.

وابتلعت جبال اليمن أحد أصدقاء أبي ولم يعثروا له علي أثر وعندما عاد جيشنا من اليمن عاد بدلا منه خطاب أصفر صغير بيد جندي أصفر نحيل يقول أن ابنكم مفقود وبحث عنه أبوه بين مكاتب منطقة التجنيد فلم يجده ، وظل يبحث عنه حتى مرت سنوات وعندما سمعت أمه مطرب الجيل يغني (وإن لقيتم حبيبي سلموا لي عليه طمنوني لأسمراني عامله إيه الغربة فيه) شقت ثوبها وهامت تبحث عنه في الحقول والبراري والبلدان القريبة حتي ذهبت تبحث عنه في مقابر بلدتنا ولم تعد

حتى اليوم.

واتبع ثلاثة من أصدقاء أبي تعليمات القيادة أثناء النكسة وولوا هاربين فلدغ أحدهم عقرب وهو يهيم على وجهه في الصحراء، ولمحت الثاني طائرة معادية أما الثالث فعندما عاد مشردا إلي قريتنا في جنح الظلام سمع مطرب الجيل يغني (عدي النهار والمغربية جايه بتتخفي ورا ضهر الشجر) فسقط مغشيا عليه.

وعند هذه المرحلة كان قد بقي لدى أبي ثلاثة أصدقاء أحدهم الشيخ سلامة.أما الثاني فقد حارب العدو بإطلاق لحيته وكلما قوي العدو أطال له لحيته وكلما تجبر العدو أطال له لحيته أكثر فأكثر وحكي لي أبي أن آخر ما سمعه من أخبار صديقه هذا أن لحيته بلغت من الطول حدا لم تعد دار تسعه فذهب إلي جبال أفغانستان حيث المتسع .

أما الثالث فقد جلس علي مكتبه ليلم ثمن أبي وأصدقائه وكلما تساقط أحد أصدقاء أبي تكاثرت الأموال من حول صديقه هذا وقال لي أبي أن صديقه هذا دخل إلي كومة من الأموال ليعدها ولم يعد بعد.

أما الشيخ سلامة وحيد أبويه المدلل فقد ظل لسنوات في كلية الصيدلة تخرج بعدها درويشا ، وبدلا من مقاومة الأمراض قاوم الأنفس السبعة ، ظل لسنوات يقاوم الأمارة بالسوء حتي طلق زوجته الدنيوية وابنته وانتقل بعد الأمارة بالسوء إلي اللوامة وقد جاهد معها جهادا

عنيفا وظلت تراوغه لسنوات حتي استطاع الانتصار عليها وبعدها انتقل إلي المطمئنة وحاربها وانتصر عليها ولم يستطع القضاء علي الراضية والمرضية إلا بعد أوراد وأذكار لايتحملها بشر ، أما الملهمة والكاملة فقد عالجتُه من هبوط حاد ناجم عن الزهد الذي كان سلاحه في التغلب عليهما وعندما عينت طبيبا بالمستشفي الأميري كان الشيخ سلامة قد أدي ما عليه تجاه ربه وتجمع من حوله الدراويش الضالون ليعطيهم الإذن بالمسير إلي الله بعد أن يتوبوا بين يديه عن آثامهم وشرور أنفسهم وكانت إحدي كرامات الشيخ سلامة أنه يجيد التخفي وسط العامة والمنكرين حتي لايلحظ أحد أنه يتميز عنهم في شئ وكان يرتدى دوما جلبابا أبيضا وطاقية بيضاء على رأسه التي لم يشب من شعرها شئ رغم تجاوزه الستين وكانت هذه أيضا تعد من كراماته وكان يتخذ من إحدي المقاهي القذرة مقرا له وإمعانا في التخفي كان يدخن ويشكل دائم النار جليه .. وعندما يرفع الأذان وتنطلق نداهات الإيمان لتجذب البشر من دنياهم إلي الله كان جسد الشيخ سلامه يرتعد كله حتي ينهي المؤذن آذانه وتعود نداهات الإيمان بمن جمعتهم إلي الله ولكنه وإمعانا في التخفي لايقوم للصلاة . وقد سأله أحد دراويشه وكان درويشا مبتدئا يرتسم علي وجهه غضب الله والشيخ ، لم لاتقوم للصلاة يا مولانا ؟ أجابه الشيخ سلامة بعد أن تجاهل سؤاله مرات أنه يصلي حيث يأذن الله

ولم يزد الشيخ سلامة عن ذلك وأطرق بعينيه إلي أرض المقهى الموحلة ولفته غلالة من صمت وقور وسقط (اللي) من يده في الطين ولحسه أحد دراويشه بلسانه ينظفه بعد أن فاز به بعد صراع مع زملائه ، وانتحي درويش قطع نصف المسافة إلي الله بالدرويش المبتدئ الغبي الذي لم يأذن له الشيخ سلامه بالسير إلي الله بعد وأفهمه أن الشيخ سلامه يصلي الفجر في مكة والظهر في المدينة والعصر في الكوفة والمغرب في الرباط والعشاء في سيدنا الحسين ، وابتلع الدرويش المبتدئ سؤالا قفز إلي شفتيه هل يصلي الشيخ سلامه الصلاة كاملة أم يقصرها لأنه على سفر؟

ولأن الشيخ سلامه حرم نفسه طويلا من متاع الدنيا وطلق زوجته في طريق هجرته إلى الله ولأنه بلغ نهاية الطريق بنجاح فقد عاث في الطرقات وعلى شاشات الفضائيات وفي زحام الموالد وفي بطون المواخير بحثا عن حور العين وكان كلما وجد إحداهن أحس أنه دخل الجنة حتى إذا ما تسرب إليه الملل منها ولأنه يعلم أن حور العين لايملهن أحد ذهب يبحث عنهن مرة أخري ولما علم أنه يتردد على كريمة التي أذلها بيع الملابس فباعت ما تحتها أذاع دراويشه أن الشيخ سلامة بكراماته استطاع هداية كريمة حتي أنها أصبحت لاترى إلا في أضرحة الأولياء التي يزورها الشيخ سلامة .

أما أبي فعلي باب خروجه من مدينة حياته التي كافح لبنائها استوقفه

أبو الهول وطرح عليه سؤالا.

هل تبيع البيت الذي كافحت عمرك لبنائه ويؤويك أنت وأبنائك لتستطيع بثمنه أن تلحق أحد ابنيك بكلية الشرطة وتلحق الآخر بالنيابة العامة وتصبح بلا مأوى ، أم تترك لهم مأوى وتدعهم بلا عمل ؟ولأن أبا الهول كان يقتل من لايجيب على سؤاله كما تقول الأسطورة الإغريقية فقد انتقل أبي إلي جوار ربه وهكذا ترك السؤال وأبا الهول علي باب مدينة يتمني أخوايا أن يبنياها.

انتشلت يد المسعف الضخم الجثة الطبيب الشاب من بين أمواج ذكرياته التي كادت تغرقه فأيقظ الطبيب عينيه النائمتين علي المسجي ليعيد النظر إليه فوجده ما زال غارقا في بريق عيني الجالسة بجانبه.

وامتطى المسعف النحيل آماله في سماع بقية الحكاية حتى أوصلته إلي حافة السرير وجلس الطبيب فى مرمى عيني المسجي سائلا بحنو وخفوت.

-إيه يا عم مصري الكبير عمل ايه عشان يسكتهم ؟

وتحدث المسجي فأهدي حديثه ابتسامة لوجه المسعف النحيل وأطل العنكبوت برأسه وبدأ الزحف حتى عاد معلقا بين السماء والأرض.

- أما الكبير يا ولدي فلم يجد بدا من أن يقف وقد احمر وجهه واحتقنت فيه الدماء وصرخ فيهم وعينيه تلهب الأجش بشررها

- طب يارقاص يابن الكلب إن ما علمتك الأدب.

وتطاير شرر عينيه حولي حتى غمرني.

- لم يا واد الورق ده والله لاني مولع فيه هو والصندوق الأغبر وتحول الشرر إلي لحية الشيخ البيضاء.

- هات ولعة من معاك يا شيخ

عبث الشيخ بملابسه وكأن جمرات تلسع يديه وأخرج علبة ثقاب قذف بها إلي الكبير الذي التقطها وأخرج أحد أعواد الثقاب التي تسكنها واقترب من الورق المكوم داخل الصندوق وأشعل الثقاب إلا أن صوتا يعرفه جيدا وكان لايتمنى حضوره أطفأ الثقاب المشتعل بيده وجعله يستدير ووجهه قد ازداد الاحتقان به.

- هتولع إيه يا كبير؟

وأجابه الكبير في لغة آمرة

- هاولع اللى أولعه يا حاج صبرى.

وتطاير شرر عينيه إلي صفحة وجه الحاج صبري الهادئة فانطفأ على الفور.

- قول لي بس يا كبير هتولع إيه وبعد كدا ولعه ؟

أجاب الكبير بفروغ صبر

- هولع شوية ورق لقيناهم وإحنا بنفحت الجامع

سأله الحاج صبري بمكر

- وعرفت إيه اللي فيهم قبل ما تولعهم ؟

بدا أن الكبير لم يلمح المكر في سؤال الحاج صبري فقد أجاب

- عرفنا يا حاج صبري

وبذات المكر سأل الحاج صبري

- وإيه بقي اللي فيهم ؟

لم تكن الرسالة قد وصلت الكبير بعد فقد أجاب

- فيهم كلام فاضي وحكايات من ألف ليلة

فك الحاج صبري شفرات رسالته سائلا

- يعني مفهمش وقف ولاحاجة ؟

أنبأته رسالة الحاج صبري التى فهمها أخيرا بقصة دارت فصولها بينما هو جالس لايدري فقد ذهب أحد أنصار الحاج صبرى وأبلغه بكل ما حدث وحضر هذا اللعين في الوقت المناسب كعادته قبل أن يغتنم هو الفرصة ويحرق الورق ويستريح ، فهذا اللعين لن يدعه يحرق ورقة واحدة فسيستفيد في كل الأحوال ، فإن كان بالورق وقف فسيستفيد وإن لم يكن به وقف فسيكون أول من يبلغ عنه جهات الأمن حتى يضعه في نار جهنم ويسكن هو جنته مع زوجته البندرية الشابة حتى إذا ما شوهت صورته لدي جهات الأمن زحف هو من جنته إلى منصب الكبير هذا إذا

لم يزحف المنصب إليه وأسعف الكبير ذكاؤه فقرر أن يجر الحاج صبري إلي نفس الفخ الذى وقع فيه بأن يدع له مطلق الحرية في أن يتخذ القرار المناسب إما بحرق الورق أو تسليمه إلي جهات الأمن ولكي يحدث ذلك صرف الكبير وجهه عن الحاج صبري ووجَهَهُ إلي الأجش قائلا.

- الله يلعنك يا رقاص ... شوف يا بن الكلب كنت هاتنسيني موضوع الوقف وتخلينى أولع في الورق إخص عليك تربية مرة هو أنا لو ما حنيتش عشان أمك كنت سمعت كلام الحاج صبري ووديتك الجهادية وريحت البلد منك هو أنت كان هايعدلك ويلمك عن حاجات الناس غيرها وحياة أمك الغالية لانا شاكك اسمك في أول مرواحة ليه للمركز.

واقترب رجل طويل أسمر تدلت شفته السفلي وبدا شبه عار إلا من قميص ممزق وسروال وقال وقد أغمض عينيه في مواجهة الشمس التي كانت قد احتلت كبد السماء.

- المسماح كريم يا كبير عشان خاطر أمه والجرماً اللي سايبه أبوه.

ونظر الكبير إلي السيد أبو شفتوره - هكذا كان يناديه أهل القرية - شزرا لأنه ابتلع الطعم بدلا من الحاج صبري فلفظه على الفور وتنحي جانبا فواصل الكبير حديثه.

- ياريتني سمعت كلام الحاج صبري بس أدي إحنا لسه فيها

وابتلع أخر الطعم وكان الجدري قد أكل معظم بشرته وإن كانت عيناه

قد أفلتتا وبدتا لامعتين كرأسه وقال

- يا كبير دا عيل والنبى تسامحه عشان خاطر حبيبك النبي

وكأن الكبير كان يجذب الطعم بيده التي مدها في وجه المجدور قائلا

- هو الحاج صبري يقول كلمة وتطلع غلط

وابتلع الحاج صبري الطعم وقال آسفا

- بس لو حد يسمع الكلام

فناوله الكبير الخيط حتى آخره

- هانسمعه يا حاج صبري هانسمعه يا خويا

وقال الحاج صبري راضيا بالثناء عليه

- إيه بس اللى حصل إيه المشكلة وتنحل إن شاء الله ؟

تأكد الكبير أن الطعم استقر في معدة الحاج صبري فجذب الخيط قائلاً

- عمل كتير يا حاج صبري

تسائل الحاج صبري

- عمل إيه الواد ده بس يا كبير ؟

بدا الكبير وكأنه يعد

- أو ولاكش كدا أول عامنول مش بطع علي عبدالموجود خولي عزبة البيه

أجاب الأجش الذي كان صوتا بلا جسد

- دا كان أكولتي وعاوز يزود تلات تنفار ويلهف أجرتهم ولما فضحته حد الله ما هو مشغلني كنت أسيبه وبعدين اسألوا البيه .

ألقى الأجش الكلمات فانكشف عنه المتحلقون فبدا بجسده الضخم وعينيه الحادتين وشعره الأكرد وبشرته البرونزية وقدميه الضخمتين المغروستين في ركام المسجد وكأنه تمثال ضخم إنتهى منه المثال لتوه .

أرهب الكبير الجسد الضخم فلاذ بالحاج صبري قائلا

- تانيها بقي عامنول مش نط علي نوالتك يا حاج صبري وشال شوال قمح تبرك بيه الركوبة ووداه لأمه.

أدار الحاج صبري وجهه معترضا علي ذكر الواقعة وقال الأجش بثقة

- هو عارف إني ماسرقتش منه حاجة

ثم أضاف متنهدا

- الله يرحمك يا كاسبة

كانت كاسبة التي ذكرها كافية لضم الحاج صبري إلي صفه فورا فكاسبة كانت الزوجة المرشحة له من قبل الحاج صبري بعد أن قضي أحد أبنائه علي عذريتها ولما رفض الزواج منها طرده الحاج صبري من خدمته بل واتهمه بالسرقة ولما هدده بفضحة كف عن اتهامه بالسرقة وها هو قد اتضح له أن الحاج صبري كان يدبر له مكيدة ليلقي به في الجهادية.

أحدثت كلمة كاسبة التي ماتت محترقة الأثر المطلوب منها فلقد قال الحاج صبري في غضب.

- يا كبير إحنا إيه اللي دخلنا في الكلام ده أنا كنت بسأل الواد ده عمل إيه دلوقتي؟

وحكي الكبير للحاج صبري ما حدث منذ الصباح واختتم حديثه قائلا:

- هو دا اللي حصل من صباحية ربنا لحد دلوقتي وإحنا من إيدك دي لإيدك دي ياحاج صبري اللي تشوفه وتشور بيه هانعمله

وهضم الحاج صبري الطعم فناوله الكبير زمام الأمر راضيا وتطلعت الوجوه إلي الحاج صبري الذي أدرك لتوه أنه قد زج به إلي فخ وبسرعة أدار الموضوع في رأسه وهداه تفكيره إلي نفس الطريق الذي سلكه الكبير من قبل فقال متطلعا إلي الكبير.

- طب نشوف إيه اللي في الورق الأول ويعدين ربنا يحلها .

إبتسم الكبير وجذب الحاج صبري وجلسا إلي جوار الصندوق وتوسطناهما أنا والشيخ ذو اللحية البيضاء ومد الكبير الورقة بعد أن استنطقها فلم تنطق كأخواتها إلي الحاج صبري الذي تأملها وكأنه ينسخ صورتها في عقله ونظر مليا إلي الزخرفة على جنباتها وناولها لي قائلاً.

- دي باين عليها مهمة اقرا يا بني

وتناولت الورقة فكان بها

صفحة رقم (٥)

ولما طلب الإمبراطور من الأفريقي أن يعالج أولياء العهد أعلن أنه لايوجد لهذا المرض علاج فكان مصيره الطرد ومصير كبير المستشارين الذي لايعرف له أصل السجن وعاد الإمبراطور إلي حزنه وقد ازداد وإلى أرقه وقد ملك عليه حياته ووضع أمام عينيه سؤالا ضخما بحجم الإمبراطورية وهو كيف يمكن أن يتولي أحد ولاة العهد الحكم من بعده وهم حّباة يمشون كالقرود ؟ ولما عجز الإمبراطور عن إيجاد حل لسؤاله بدأ البحث عن علاج لأولياء العهد في كل مكان على وجه الأرض فلم يفلح طبيب في علاجهم ووقف الطب حائرا عاجزا مشلولا أمام حالتهم فلجأ الإمبراطور للعلاج بالقرآن الذي أهمله طويلا ولما فشل العلاج بالقرآن أقر الإمبراطور أن القرآن كتاب عبادة وأحكام لعلاج الأمم وليس أولياء العهد وإن كان قد عاد إلي إهماله ولجا إلي الرهبان في الأديرة وأخرجهم من صوامعهم لعلاج أولياء العهد ففشلوا في علاجهم ولجأ الإمبراطور إلي سكان الصياصي وبدلا من أن يحاربهم طلب منهم علاج أولياء العهد وبعد أن ماطلوه طويلا واستنزفوه كثيرا ثبت له فشلهم فلجأ إلي العرافين فخذلوه وإلى الدجالين فأحبطوه إلا أن كبير المستشارين المسجون والذي تفرغ في سجنه طويلا أفزع حراسه بطرقات

عنيفة على باب زنزانته ونادي عليهم في هياج طالبا أن يبلغوا جلالة الإمبراطور أنه وجد الحل ولما كان الحراس ومن بعدهم مأمور السجن ومن بعده وزير الداخلية يسألونه حل ماذا ؟ كان يجيبهم عليكم فقط إبلاغ جلالة الإمبراطور أن كبير المستشارين وجد الحل الذي سينهي المشكلة جذريا أبلغوا جلالة الإمبراطور وإلا تعرضتم لأبشع عقابه.جعل التذكير بأبشع عقاب لجلالة الإمبراطور وزير الداخلية يبلغ رئيس الوزراء بما حدث ليرفع عن كاهله المسئولية وأبلغ رئيس الوزراء جلالة الإمبراطور وهو يتحدث في رعب عما حدث من كبير المستشارين السابق المودع في سجنه وبالرسالة التي طلب أن تبلغ لجلالته وبمجرد أن أنهي رئيس الوزراء حديثه انتفض الإمبراطور واقفا وصرخ أحضره حالا .أحْضِرهُ حالا وأحَضِرَ كبير المستشارين السابق من سجنه علي الفور ، ووقف أمام الإمبراطور واثقا علي غير المتوقع بل أنه جلس بمجرد أن أشار له الإمبراطور بالجلوس وملأ كرسيه وارتكن بظهره ومد رجليه ، وكأنه لايجلس في حضرة ملك أخرجه لتوه من سجن أودعه فيه وبدا وجهه ذو بريق انسحب إليه من رأسه التي تختزن ما بحث عنه الإمبراطور طويلا وما تتعلق روحه به ولم يطق الإمبراطور هذه الثقة المبالغ فيها بل أنه لوهلة تمني ألا يكون هذا اللعين يملك العلاج الناجع حتى يشنقه إلا أنه استغفر الله وتمالك نفسه ووجه إليه سؤالا مباشرا بصوته الجمهوري

رددته أركان حجرة العرش التي كانت خاوية إلا منهما

- لقيت الحل يا مستشار النكبة ؟

أحس أن روحه ردت إليه عندما لقبه الإمبراطور بالمستشار وإن كان ألحقها بالنكبة فهذه الأخيرة لديه الحل لها وأجابه بثقة و بابتسامة علقها على وجهه.

- نعم يا مولاى الإمبراطور.

وسدد للملك المتلهف نظرة جعلته يثق أن لدى هذا اللعين العلاج فأمره

- هاته وبسرعة

رد بهدوء

- الموضوع لايمكن أن يشرح بهذه السرعة.وأنا لن أعطي لأولياء العهد علاجا يبتلعونه أو يدهنون به لينتصبوا على أقدامهم وأولياء العهد يا مولاى لن ينتصبوا على أقدامهم .

انتفض جسد الإمبراطور وإن كان لم يقف وعاجل المستشار بكلمات حادة كالسكين.

- أيها اللعين لقد حولت حياتي إلى جحيم لايطاق مالي أنا بمن كان سيحكم من بعدي مالي أنا إن كان سيكون صالحا أم طالحا لقد كنت أتمتع بحياتي وأحيا في جنتي حتى أخرجتني أنت ووزراء السوء منها على حلم أن يكون لي ولي للعهد ولما جاء أولياء العهد حبّاة عجزتم عن إيجاد

علاج لهم وتأتى أنت الآن لتقول أنه لاعلاج لديك ولادواء ألم تقل أيها اللعين أن لديك العلاج الناجع ؟ وعلى هذا أخرجتك من سجنك الذي لاتستحق غيره.

ثم كرر سؤاله كمن وجد دليل إدانة

ـ ألم تقل ايها اللعين أن لديك العلاج الناجع ؟

كان حذف لقب المستشار قد هزه إلا أنه تمالك نفسه في مواجهة غضب الإمبراطور وقال

ـ يامولاى الإمبراطور حفظك الله أنا لم أقل أبدا أن لدي العلاج الناجع ولكنني قلت أن لدي الحل والحل الجذري لهذه المشكلة.

ضغط المستشار على حروف الجذري وكأنه يغرسها في عقل الإمبراطور الذي انتصرت ثقة المستشار علي غضبه فانخفضت طبقة صوته وهو يقول

ـ أأفهم من ذلك أنك ستحل المشكلة دون أن ينتصب أولياء العهد واقفين.

وجد المستشار الفرصة لكي يدغدغ عواطف مولاه فقال مهللا

ـ حفظ الله حكمة مولانا وسرعة بديهته.

وأجاب بعد أن اطمأن أنه سيطر على عقل الإمبراطور بمدحه لذكائه وحكمته

- نعم يا مولاي لدي الحل

سأل الإمبراطور مفتعلا الهدوء

- وما هو الحل ؟

أجاب المستشار بثقة

- الحل ليس بسيطا يا مولاي الإمبراطور بل إنه نظرية كاملة ليسمح لي مولاي الإمبراطور أن أنير له كل جوانب نظريتي التي ستكون فتحا عظيما لمولاي ولأولياء العهد حفظهم الله.

وتناول المستشار سيجار كوبي فاخر موضوع بعلبة ذهبية علي منضدة مفضضة تعلو سجادة يتصارع عليها فارس مع أسدين.

وانتظر الإمبراطور حتى أشعل سيجاره وأراد أن يشجعه فأعاد له لقب المستشار قائلا :

- قل أيها المستشار

والتهم المستشار المكافأة ومن بين الدخان المتصاعد بدأ حَلَّهُ

- بدأت الحكاية يا مولاي عندما غضبتم علي وصدقت جلالتك فرية هذا الأفريقي الذي حاول إنقاذ رقبته فادعي أنه أبلغني أن علاج العقم بدماء القرود لاينجب إلا حّباة وأنني أمرته ألا يبلغ جلالتكم ، لما حدث هذا واستقر المقام في السجن وبأولادي إلي الطرقات وبضياعي وأموالي إلي توقف المستشار ونظر للملك نظرة ذات معني ثم واصل

ـ لما حدث كل هذا وبينما أنا جالس في زنزانتي أبكي علي حال مولاي الإمبراطور وعلي مصير أولياء العهد حفظهم الله وقد هدني طول التفكير في حل للمشكلة تنامي إلي سمعى صوت قادم من أحد أركان الزنزانة ففزعت ونظرت إلي مصدر الصوت فلم أجد أحداً فقلت ربما كان يهيأ لي من طول الوحدة في السجن ولكن بعد لحظات تنامي إلي سمعي نفس الصوت من نفس المكان وقال لي.

ـ لقد وجدت الحل لمشكلة مولاك الإمبراطور وسوف أهديه لك .

ناولت الورقة التي انتهت عند هذا الحد للكبير الذي ما إن سمع الشيخ ذو اللحية البيضاء يقول:

ـ دا جني والله دا جني .

حتي ألقي بالورقة بعيدا وتملكه الفزع فضحك الحاج صبري متسائلا

ـ جني إيه يا شيخ ؟

رد الشيخ في شيء من الرهبة وبثقة

ـ جني والله يا حاج صبري ، اللي كلم المستشار جني

تسائل الحاج صبري مستهزئا

ـ والجن مالهم ومال البني أدمين يا شيخ ؟!

أجاب الشيخ في غضب.

ـ مالهم إزاى يا حاج صبرى هم الجن إيه والبني أدمين إيه مش كلهم

خلق الله وربنا بيسلط بعض خلقه علي خلقه
تدخل الكبير بلغة العالم
- أنت باين عليك ماتعرفش حاجة في الموضوع ده يا حاج صبري دا الجن كمان فيهم مسلمين وكفرة.
وبسرعة تدخل الشيخ الذي أغضبه تدخل الكبير
- أي نعم وفيهم كمان يهود وعبدة نار وعبدة أوثان.
أحدثت كلمة عبدة أوثان بغموضها انبهاراً لدي المتحلقين بالشيخ ذو اللحية البيضاء، وأغاظت الحاج صبري الذي تدخل قائلا:
- واللي كلمه ده مسلم ولاكافر يا شيخ ؟!
أجاب الشيخ بلغة العليم
- إن كان الجني اللي كلمه مؤمن يبقي ها يدي له حل سليم ، أما إن كان والعياذ بالله كافر ولايهودي يبقي هيديله حل مقطرن.
تدخل أحد المتحلقين
- ألا بيتعركوا زي عندنا في البني آدميين يابا الشيخ
امتلأ الشيخ بالسعادة وهو يجيب
- بيتعاركوا وبينهزموا وبيفوزوا وعندهم أسري واحتلال .
قال الحاج صبري وقد أغاظه استيلاء الشيخ علي ألباب الحاضرين
- وعندهم قنابل وبنادق زينا يا شيخ ؟!

ـ لاياحاج صبري هم بيتعاركوا بالسيوف

قالها الشيخ وقاطعه الحاج صبري

ـ أنت يعني شفتهم يا شيخ ؟!

أفزع الجميع رد الشيخ بقدر ما أدهشهم

ـ أي والله يا كبير أي والله العظيم ثلاثة يا جماعة إني حضرت معركة من معاركهم الأسبوع اللي فات !

ـ لازم كنت تقلت في العشا ولايمكن ستى خضرة كانت بترفصك وأنت نايم.

ضحك الجميع والكبير ورد الشيخ محتدا

ـ اسكت يارقاص يا واطى ومـاتخوضش لحسن والله يركبك جنى ما يسيبك طول عمرك.

سأل الكبير الذي أعجبته الثقة في لغة الشيخ

ـ قول لنا بس يا شيخ شوفت المعركة دي إزاي

ـ الحكاية يا سيدنا إن الشيخ عبدالرحيم بعت لي مرسال بيلغنى إني لازم أحضر عنده قبل أذان العصر ضرورى و أنا عارف الشيخ عبدالرحيم من أيام ما كنا في الكتاب عمره ما يبعت ينده لى إلا إن كان فيه أمر جلل قلت لازم أروح له ، لبست الجبة والقفطان وحطيت البردعة على الركوبة وتوكلت على الله الكلام ده بعد ما صلينا الظهر وأول ما خرجت

من البلد قابلنى صهد زى اللى بيقول لى إرجع والدنيا نار الله الموقدة والغيطان فاضية وساكتة وعوى الديابة جاى من ناحية الجناين ومفيش صريخ ابن يومين قابلنى ولا فيه ورقة شجرة بتلبص والشمس بتلسع والحماره ماشيه مغمضة عينها قلت ياواد ترجع بس الشيخ عبدالرحيم هيزعل قلت لأ أروح واللى يجرا يجرا ، المهم قبل العصر ما يقول الله أكبر كنت قدام بيت الشيخ عبدالرحيم ندهت طلع ودخلت وأنا مفرهد من التعب والحر ، وقبل ما مد إيدي علي لقمة حلفت لازم يقول لي بعت لي ليه حلف إنه هايقول لي وأنا بأكل وكان عامل واجب كبير قوي نساني السؤال لحد ما أكلت اللقمتين.

- لقمتين ! دا أنت تلاقيك قمت بالصينية كلها ياها الشيخ

- ليه مفجوع زيك يا رقاص يا بن الكلب ؟

- كمل يا شيخ باعت لك ليه ؟

- اتاري إن الجن دول طلعوا حكاية كبيرة قوي يا سيدنا الحكاية إن كان فيه عندهم دار لأ دار إيه قول قصر وصاحبه كان راجل متريش قوي والدار واسعة وما فيش فيها غير مراته وبنتين صغيرين وصاحب الدار كانت عينه زايغة وبتاع كيف ومدلع نفسه علي الآخر ما المال كتير وهايصرفه فين غير علي الكلام الفاضي ده وما كنش بيقعد في البلد كل يجى شهرين تلاته غير أسبوع ولا اتنين بالكتير يلم إيجار ولايبيع

محصول ولابهيمتين وياخد الفلوس وتنه ماشي وماحدش يعرف له مكان لحد ما يدور ويرجع والمسكينة تقعد مستنياه لحد ما يلف ويجيلها المهم الولية لقت البهايم عماله تطرح وكل يوم يقوم في البيت حريقة يطفوها وتاني يوم بالليل وبعد الناس ما يناموا توج الحريقة تاني تصوت المسكينة وتلم الناس يطفوا الحريقة وتاني يوم نفس المرجوع تاني ويتلموا الناس ويطفوا الحريقة حتي المحصول المتخزن والشونة أكلتهم الولعة لحد الناس ماتعبوا اشتكوا للعمدة وطلبوا منه يشوف لهم حل والعمدة بتاعهم راجل جدع حط حراسة علي الدار بردوا الحريقة بعد نص الليل ولعت أكتر من الأول قام العمدة زود الحراسة بردوا الحريقة ولعت أكتر وأكتر قام العمدة نفض ايده من الموضوع وقال ده مش شغل بني أدمين وأنا عمدة علي البني أدمين بس ، روحوا للشيخ عبدالرحيم يشوف لكم حل حكم الشيخ عبدالرحيم كلمته مسموعة في البلد وكل ما يقعوا في مشكلة يلجأوا له ويحلها بعون الله ، وعمل الشيخ عبد الرحيم حضرة كبيرة قوي في الدار واتنصب الذكر وناس كتير خدتها الجلالة والحلقة وسعت وخلق الدنيا قاعدين يذكروا لحد وش الفجر وانفضت الحضرة وقبل الناس ما يوصلوا بيوتهم سمعوا الصوات رجعوا لقوا الحريقة في الدار وجه للسما ومفيش فايده ، قعد عبدالرحيم يقرا قرآن لحد الصبح في كل ركن وكل مندرة وعلى السطح وحتي لامؤاخذة في زريبه المواشي في كل

مكان ربع قرآن لكن بردوا الحريقة وجت والناس آتلمت لحد ما من كتر الحرايق الدار ما عدش فيها ، الدار اللي كانت زي القصر بقت خرابة والبلد بقت قايمه على رجل والرعب ملا الناس وماعدش حد عارف يعمل شغلة إلا والشيخ عبدالرحيم يفتكر واد كان معه فى الجهادية من الصعيد كان قال له علي شيخ عندهم سره باتع الشيخ عبدالرحيم ما كدبش خبر وتنه رايح على الصعيد وما رجعش غير والراجل في إيده وكان لسه واصل يومها الصبح وبعت لي عشان أحضر الجلسة حكم الشيخ طلب منه يحضر معاه ناس عارفة ربنا وحافظه كتاب الله ، المهم توكلنا على الله ورحنا علي دوار العمدة أصله كان حلف يمين الطلاق ماحد مضايف الشيخ غيره ودخلنا على الراجل فى المضيفة وأول عيني ما وقعت عليه قلت الله أكبر ، إيه ياجدعان حاجة سبحان من له الكمال أنا قلت راجل جاى من الصعيد لازم هايكون أسمر لقيته أبيض من اللبن الحليب وعنيه زي البرسيم لاخضر وكان حاطط العمة جنبه وشعره زي الكهرمان وراجل ملو هدومه طول بعرض بهيبة تخوف الواحد يقرب منه وحواليه نور ما يشوفوش غير العارفين ، إن جيتوا للحق أنا خفت أقرب منه لقيته بيقول لي قرب يا شيخ طه ما تخفش قلت اللهم صلى عليك يا نبي وعرفت اسمي إزاى ؟

ضحك بانت سنانه زي اللولي وقال لي بلغني اللي أنتم بتعلموه في

البلد عندكم ربنا يقويكم ويعلي الجامع كمان وكمان ، ضربت عبدالرحيم في جنبه وسألته أنت قلت للشيخ إيه عنى ؟ حلف يمين كبير إنه ما جاب له سيرتى عرفت إن الراجل واصل.

ودخل العمدة وشيخ البلد وتلات رجاله باين عليهم من الأعيان وخدنا الراجل ورحنا على دار الولية ، الراجل من هيبته مفيش كبير ولاصغير من أهل البلد كان يشوفه ماشى في السكة إلا ويستخبي ووصلنا الدار وقبل ما ندخل لف حوالين الدار لفة وهز دماغه وقال خير إن شاء الله ، ودخلنا مندرة واسعة وبرحة بس سقفها واكلاه الولعة وقبل ما نقعد قال لو حد مش متوضي يقوم يتوضا ولو حد مش علي طهارة يقوم يروح أحسن له ، قام العمدة إتوضى وقام شيخ البلد وواحد من الأعيان روحوا ، وندهنا على الولية دخلت لقيناها بنت شابة عفية وزي القمر بس يا خسارة خلفتها كلها بنات قعدها الشيخ في وسطنا وحط إيده علي رأسها وغمض عينيه وقرا

- قرا ايه يا شيخ ؟

- قرآن يا كبير بس مش قرآن زي قرآنا لا دا قرآن متنقي آية من هنا علي سورة من هنا خمس دقايق كدا ولقينا البت نامت قام مددها في وسطنا وغطاها بشال أبيض من جراب معاه وغمض تاني وقعد يقرا ويملس علي الهوا بإديه وكل دقيقة ينده المدد المدد أنا جسمي شال

وبصيت للشيخ عبدالرحيم لقيته مدفوس ما بين العمدة وواحد تاني زي اللي مستخبيين في بعض والراجل التالت لقيت وشه زي الكركم وماسك جلابيته في إيده وعينه علي الباب إلا وفجأة الشيخ ينده بعزم ما فيه ويزعق.

- أنت مين ؟ أنت مين ؟ .. انطق أنت مين وملتك ايه ؟

وفتح عينيه بقت قد عين البقرة وحمرااا إلا ولقينا اللي بيرد عليه من جسم الولية.

- وأنت مالك ؟

الراجل التالت جري علي الباب نده عليه الشيخ

- اثبت

قعد وقفاه لينا ، ورد الشيخ

- أنا مالي إزاي أنا عربي مسلم وهي عربية مسلمة أنت بقي اللي مين وملتك ايه ؟

صاحبنا ماردش قام الشيخ هدده

- ما هو يا ترد يا هاحرقك

رد عليه ببجاحة وبصوت عالي

- مش هاتقدر أنا مش لوحدي

رد الشيخ بصوت أعلي

ـ لا أنا أقدر أحرقك وأحرق ألف زيك

سأله

ـ أنت عاوز مني إيه ؟

رد الشيخ

ـ عاوزك تخرج من عندك أنت واللي معاك وتسيبوا الدار وأهلها في حالهم .

ـ مش خارج ومش هاسيب الدار وهم اللي لازم يسيبوها

رد الشيخ بصوت واطي

ـ طب قولي بس ، أنت مين ومين اللي معاك وعاوزين إيه

رد صاحبنا ببجاحه

ـ مش قايللك

الشيخ قال له

ـ طيب أنا هاوريك

والشيخ عزم وقعد يقرا ويعلي صوته ويوطيه ويقرأ في ودن الولية ويعيد عنها لحد ما لقينا الولية عمالة تضرب برجليها في الأرض وبإديها في الهوا وهي نايمة زي ما هي الشيخ ما سكتش وتنه يقرا لحد ما صاحبنا زعق

ـ كفاية كفاية حرام عليك كفاية

الشيخ ابتسم وقال

- ماهو يا هاترد يا هاحرقك

رد صاحبنا

- أنا مسلم

الشيخ قال له

- ولما أنت مسلم بتولع في الدار وتسقط البهايم وتحرق الخزين ليه ؟

صاحبنا قال

- مزاجي

الشيخ رد بزعل

- أنت بتكدب

رد عليه

- مابكدبش

الشيخ بان عليه إن صبره نفد وقال له

- لأ أنت بتكدب وأنا هأعرف أجيب لك اللي يقررك ويحرقك أنت واللي معاك

بجح وقال

- اعمل اللي تقدر عليه

والشيخ عزم وطالت قرايته وطال نداه المدد .. المدد ...المدد ، لحد ما

حسينا كلنا إن الشيخ تعب وبقي عرقه مرقه وماعدش قادر يفتح عينيه وشكينا إنه مش هايقدر عليه إلا ونلاقي صوت غير اللي كان بيتكلم من شوية بيرد بردوا من جسم الولية

- نعم

الشيخ ابتسم بزعل وقال له

- أنت إتأخرت كدا ليه ؟ دا أنت تعبتني قوي.

قال له زي اللي بيستسمحه

- أصل المشوار بعيد

الشيخ سأله

- أنت جاي من أين ؟

قال

- من مكة المكرمة .. إيه الموضوع ؟

الشيخ قال

- الموضوع إن الدار بتولع والبهايم بتسقط والخزين بيتحرق وابن الكافرة مش عاوز يخرج ولايقول هو مين ولاملته إيه

رد عليه

- سهلة

الشيخ انبسط وقال له

- هاتعرف تخلص الموضوع ؟

- قال له

- سيبني بس أشوف إيه الحكاية وأرجع لك

وماعداش يجي دقيقة ولا اتنين الشيخ مسح فيهم عرقة وهدي والراحة بانت علي وشه ورجع نور تاني والزبون اللي كان عاوز يهرب رجع من علي العتبة وركبه بتخبط في بعضها وقعد ماسك جلابيته وبردوا عينه علي الباب والعمدة والشيخ عبد الرحيم والراجل التالت خدوا نفسهم ورجع المكي وقال

- الموضوع كبير قوي

الشيخ سأل بقلق

- كبير إزاي ؟

رد المكي

- دول يهود ملاعين ومتسلحين كويس قوي ومحتلين الدار ومش عاوزين حد يسكنها غيرهم.

الشيخ قلق أكتر وسأله

- هم كتير ؟

رد المكي

- كتير قوي

سأله الشيخ

ـ يعني أكتر منكم ؟

المكي قال

ـ لأ .. بس متسلحين كويس قوي

الشيخ سأله

ـ يعنى نسيب لهم الدار ولا هاتعرف تعمل معاهم حاجة ؟

المكي قال بجمديت قلب

ـ إن شاء الله هانعمل .. بس فيه مشكلة

الشيخ سأل بزهق

ـ مشكلة إيه ؟

المكي قال له

ـ المشكلة إن الجيوش كلها مشغولة وأنت عارف ولاد الكلب دول فلوسهم كتير ومش سايبنا في حالنا وكل يوم يعملوا لنا مشكله وناس كتير بيساعدوهم .

الشيخ عينيه احمرت وقال له

ـ وبعدين؟

المكي طمنه

ـ ربنا هايدبرها

الشيخ سأله

- قدامك كتير ؟

المكي رد

- مقدار ما أعلن ندا الجهاد والجيوش تتلم ونسلحها وأجي

الشيخ دعا له

- ربنا يعينك وخد بالك من الجواسيس

والولية سكتت والشيخ سند ضهره علي الحيطة ومدد رجليه وإتلفت حواليه وبص لنا وإتخض كإنه كان ناسينا وبعد شوية ابتسم ، العمدة زاح الراجل اللي كان لازق فيه وقال

- ايه يا شيخ الحكاية باين عليها كبيرة ؟

الشيخ رد بنص لسان

- الصعب علينا سهل علي الله يا عمدة

العمدة ما سكتش وسأله

- والجيش اللي لسه هايتلم ده لازم قدامه كتير يا شيخ ؟

الشيخ زي اللي مش عاوز يرد

- كله بأوانه يا عمدة

بردوا ما سكتش

- والجيش ده من آني بلد يا شيخ؟

كز علي نيابه وقال له

ـ من بلاد المسلمين يا عمدة

خلاها خل وسأله

ـ والتسليح بتاع الجيش ده إيه يا شيخ ؟

فرغ صبره

ـ الايمان .. وما تسألش عن اللي مالكش فيه يا عمدة

العمدة أصله ما كنش فاهم إن الدار مليانه جواسيس وما بيصدقوا يسمعوا ملعومة يروحوا يبلغوها للعدو علي طول بس الراجل اللي كان عاوز يهرب باين عليه فهم أصل وشه راح زي الكركم وقال للشيخ وهو هايموت من الرعب.

ـ ممكن أستأذن يا شيخ

الشيخ رد عليه بكلمة واحدة

ـ لأ

والزبون روحه كانت هاتسوخ عليه من الرعب ولزق في الراجل التالت ، والشيخ قعد يسبح وعبدالرحيم وأنا قعدنا نقرا والعمدة والراجلين اللي معاه قاعدين يسمعوا ، لقينا المكي بيقول

ـ كله تمام يا شيخ

الشيخ فرح قوي وقال له

ـ الجيش فين

المكى قال

- معايا

الشيخ سأله علي المستخبي كدا

- كله كله تمام ولافيه حاجة ناقصة ؟

المكي قال بعزم ما فيه

- تمام يا شيخ

الشيخ قام وقف وزعق بأعلي ما فيه

- الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر الله أكبر .. حي علي الجهاد .. حي على الجهاد

والدنيا إطربقت يا رجاله والولية تشيل رجلها وترقعها في الأرض وتشيل إيديها وترقعها فى الأرض وتتلوي زي التعبان والدار بقت عفره وما حدش عاد شايف حد ومش سامعين غير صوت الشيخ بيزعق الله أكبر أنا قلت الله أكبر والعمدة وعبدالرحيم والراجل التالت كبروا بصوت عالي وماعدش حد حاسس بنفسه والعرق غرقني قمت واقف وكبرت بعزم ما فيه وضربت بإيديه في الهواإيدي جت في حد رمته علي الأرض زعقت الله أكبر الله أكبر والشيخ صوته كان بجيب لآخر البلد والناس هللوا برا الدار وكبروا والدار قامت حريقة وانطفت لوحدها وقامت تانى وانطفت

لوحدها والمندرة اللي قاعدين فيها وجت ولعة والشيخ زعق جم هنا .. حاصروهم .. دخل الميمنة في المندرة وخلي القلب علي الباب والميسرة علي باب الدار .. خلي المقدمة تهجم والمؤخرة تحلق عليهم .. اثبتوا يا جند الله النصر لكم .. إنما تريدون إحدي الحسنيين النصر أو الشهادة .. الله أكبر والمندرة انطفت لوحدها والشيخ خلع الجبة والقفطان .. وجري في وسط الدار وهو عريان وبيقول طاردوهم .. طاردوا جند الشيطان يا جند الله .. طاردوا شردوهم كل مشرد .. لاتدعوهم إلا قتيلاً أو أسيراً وطلع علي السطح وأنا في ديله وقعد يشور علي الأسطح اللي عماله تولع وتنطفي ويقول طاردوا جند الشيطان يا جند الله ويكبر الله أكبر الله أكبر والبلد كلها تكبر وراه ويزعق ويقول زلزلوهم بالتكبير والبلد تكبر وتكبر والولعة وجت في نخل علي شط بركة برة البلد واطفت لوحدها وماولعتش تاني والشيخ رقص وهو بيقول الله أكبر لقد من الله علينا بالنصر الله أكبر الله أكبر لقد من الله علينا بالنصر والنسوان تزغرت والعيال تصفر والرجالة يعبطوا في بعض والشيخ إدير وعبطني ونزلت فيه بوس وخذني ونزلنا نطمن علي الولية والتراب والعفرة خفوا ولقينا الولية متكومة ورا الباب والعرق خلي التراب علي وشها بقي طينة ولقينا العمدة واقف علي حيله وراسه منكوشة ومتعفرة والعرق مغرقة وطاقيته مرمية علي الأرض والراجل التالت عمال يعيط وصاحبنا اللي كان عاوز يستأذن لقيناه

مغمي عليه وبصيت لقيت عبد الرحيم مرمي علي الأرض والدم نازل من بقه قلت له أنت اتصبت يا حلو وفوقنا عبدالرحيم وهدينا الراجل اللي كانت وخداه الجلالة وبيعيط الراجل المغمي عليه سبناه مرمي في الركن وشلنا الولية وحطناها قدام الشيخ والشيخ عزم وقعد يقرأ ومفيش دقيقة ولقينا المكي بيرد

- نعم

الشيخ سأله بفرحة

- أنتم خلصتوا

المكى قال بفرحة

- الحمد لله

الشيخ سأله

- قضيتوا عليهم كلهم ؟

رد المكى

- بفضل الله

الشيخ قال له

- بسي تعبوكوا ولاد الكلب

المكي قال له

- لاتعبونا ولاحاجة دول جبنا أول ماسمعوا الله أكبر الرعب ملاهم.

الشيخ سأل والفرحة بتنط من عينيه

- وأسرتوا كتير

المكي ضحك وقال

- لأبس ما سبناش واحد فيهم حي

الشيخ ضحك وقال له

- تسلم .. بس أنا عاوز منك خدمة تانيه

المكي سأله

- خدمة إيه أنت تأمر ؟

الشيخ قال له

- أستغفر الله الأمر كله لله إنما أنا كنت عاوزك تسيب كتيبة ولا

رية من عندك حراسة علي البلد عشان ما حدش يفكر يعمل حاجة تانى.

المكي رد بأدب وإحترام

- حاضر هاسيب كتيبة اللي يجي هنا هايطيروا رقبته.

الشيخ قال له

- مع ألف سلامة مع ألف سلامة ربنا يكرمك مع ألف سلامة.

المكى قال

- السلام عليكم ورحمة الله.

وردينا كلنا

ـ وعليكم السلام ورحمة الله بركاته.

والشيخ عزم ومفيش دقيقة ولقينا الولية صحيت وفاقت ومسكت إيد الشيخ وقعدت تبوس فيها وتقول أنا فقت وجسمى فاق يا مولانا ووطيت أنا وعبدالرحيم والراجل التالت بوسنا إيده والعمدة باس رأسه مد له إيده وقال له هنا يا عمدة باس العمدة إيده

ـ يا نهار منيل دي الحكاية باين عليها صدق

قالها الذي يقلقل نهايات الكلمات ورد عليه الشيخ ذو اللحية البيضاء قائلا

ـ اخص عليك راجل واطي هو أنا يعني كنت هاكدب.

وتلفت الشيخ يبحث عن أثر حديثه في وجوه المتجمعين فلما جمع ما يرضيه من الإعجاب والخوف والتأثر بحديثه عادت عيناه راضية وأفسح المجال للحاج صبرى الذي كان يتابع حديثه بنصف عقل أما النصف الثاني فكان يشارك الكبير محنتهما التي وقعا فيها فلما أحس بثقلها أراد أن يزيحها فخاطبيني قائلا

ـ شوف ورقة تانيه يا بني وإقراها وبسرعة لحسن الشيخ ضيع ساعتين مننا.

فلما أجابته يداي الخاويتان مد يديه إلي الصندوق وناولني ورقة فكان بها

ورقة رقم (٦)

فقلت للصوت الأتى من ركن الزنزانة

ـ هات الحل وبسرعة أكرمك الله إن كان لك إله

فقال لي الهاتف

ـ إذا كان ولاة العهد حباة ولايمكن أن يقفوا منتصبين علي أقدامهم وقد أصبح هذا أمر واقع من المستحيل تغييره فلِمَ لانغير الناس ليصبحوا حباة

ـ إنك مجنون مجنون إن طول مكوثك في السجن بعدما كنت فيه من النعيم جعلك تهذي لابل سولت لك نفسك أنك بهذه السهولة يمكن أن تعود إلي نعيمك المفقود إن شيطانك الذي ألقي لك بهذا الحل إنما ألقي بك إلي حتفك.

علق الشيخ ذو اللحية البيضاء.

ـ يبقي كافر أو يهودي الله يلعنه عاوز يخلي الناس يمشوا زي القرود

وواصلت القراءة بأمر من عيني الحاج صبري

فقفز المستشار عن كرسيه وجثي علي ركبتيه وأمسك بقدم الإمبراطور الذي كان ينادي علي حراسه.

ـ أستحلفك بالله يا مولاي الإمبراطور أستحلفك بكل عزيز لديك أستحلفك بأولياء العهد.

دفعه الإمبراطور بقدمه قائلا

- أولياء العهد الذين أخفيت عني أنهم سيكونون حباة كالقرود

قفز المستشار إلي قدمي الإمبراطور وهو يقول

- اقطع رقبتي يا مولاي علقني في ميدان عام اقتل عائلتي وأهلي بل اقتل أولادي إن لم يعجبك حلي ولكن استمع لي حتي أنهي حديثي يا مولاي لقد أعطيتني الأمان وطلبت أن أتحدث بإسهاب فاستمع لي يا مولاي.

قال الإمبراطور وقد زال بعض غضبه

- أأستمع إلي هذيانك أيها الشيطان اللعين

تبلل وجه المستشار بالرعب وإن كان الذعر قد خفت حدته وقال لعلك تقتنع ويكون في هذا الحل خير لك ولأولياء العهد حفظهم الله وإنني أراهن برقبتي ورقبة أولادي علي هذا الحل.

جعل رهان المستشار علي رقبته ورقبة أولاده الإمبراطور يأمر نفسه بالهدوء ويأمر حراسه الذين حضروا علي الفور بالانصراف فما يضيره لو استمع لهذا اللعين وإن لم يعجبه الحل فيسيشفي غليله ليس به فقط بل وبأولاده أيضا فعاد إلي جلسته وأمر المستشار فعاد إلي مكانه وبعد أن استوى المستشار علي كرسيه مرتعبا قال له الإمبراطور بكلمات نسجها من سخريته وتوعده

- أكمل أيها الشيطان

فقال المستشار وهو يحاول أن يتحسس كلماته قبل النطق بها

ـ اقسم برأس مولاي الإمبراطور أنني قلت للخاطر أنه مجنون بل أنني قلت له أنه حقير إلا أنه قال لي

ـ ألم يكن كل البشر في الأصل حباة ؟

فأجبته بلي ، فقال لي

ـ أولا تحبو الإمبراطورية في كل المجالات ؟

فأجبته حتى وإن كانت الإمبراطورية تحبو في كل المجالات فإن مولاي الإمبراطور بريء من ذنبهم فقد حاول أن يصلح حالهم بكل ما أوتي من قوة وقد بح صوته ليجعلهم شعباً عاملا لاشعباً كسولاً عاطلاً وقد ناشدهم أن يربطوا علي بطونهم مرارا وقدوجههم بكل قوته وكل أجهزة الإعلام ليتوقفوا عن إنجاب المزيد من البائسين الذين يلتهمون كل معدلات النمو ولكنه كان كمن يدق جرسا وسط مدرسة للصم والبكم وكان كلما حاول زادوا في عنادهم حتى تأخرت الإمبراطورية وجاع أهلها.

قال هذا ونظر إلي الإمبراطور ينتظر مكافأة دفاعه عن جلالته أمام الخاطر فأحس أن الإمبراطور بدا راضيا فواصل حديثه.

فقال لي الخاطر

ـ دعك من السبب الآن المهم النتيجة أليست الإمبراطورية تحبو في

كل المجالات.

فقلت له للأسف بلي ، فقال لى

ـ إذن ما العجب في أن يكون أولياء العهد كلهم من الحُباة إنهم أبناء زمنهم وإنهم أصلح من يتولي حكم الناس فإنه وإن كان الناس حباة في معيشتهم وفي حالهم فإن أولياء العهد حباة بالفطرة لقد جعلهم الله حباة لأنه يعلم أنهم سيحكمون أمة من الحُباة هل يمكن أن ترفضوا حكم الله أو تتحدوا إرادته.

قاطعني الشيخ الذي جعل من نفسه خبيرا

ـ بكلامه ده يبقي مؤمن

فأكملت

قال الإمبراطور

ـ معاذ الله أن نرفض حكمه أو نتحدي إرادته

ثم أكمل من بين شفتيه المبتسمتين

ـ أكمل أكمل ايها المستشار

كانت كلمة المستشار من بين شفتي الإمبراطور الراضي المبتسم وكأنها أعادت له كل نعيمه المفقود فبدا راضيا مطمئنا وهو يضيف قائلا:

ـ فقلت للخاطر معاذ الله أن يرفض مولاي الإمبراطور حكم الله أو يتحدي إرادته فقال لي الخاطر

ـ إذن فقد اتفقنا

ـ ولكن كيف يمكن أن نجعل الناس يمشون كالحُباة ، إنهم وإن كانوا حباة في الأصل وحباة في معيشتهم وأحوالهم فإنهم سيرفضون رفضا قاطعا أن يجعلوا الحبو طريقة لمشيهم وسينبري المغرضون أعداء الإمبراطور والوطن ليهاجمونا وسيؤلبون الناس علينا وعلي مولاي الإمبراطور

فقال الخاطر

ـ مادمنا قد اتفقنا علي النظرية فمن السهل تطبيقها

فقلت للخاطر أمن السهل أن نجعل الناس يمشون حياة كالقرود !

واعطاني ورقة بعد أن تبادل مع الحاج صبري نظرة ذات معني فكان بها

صفحة رقم (٧)

فقال لي الخاطر

ـ نعم من السهل أن نجعل الناس يمشون كالقرود

فقلت له

ـ هل أجعل مولاي الإمبراطور يصدر أمرا بجعل الحبو مشية رسمية للإمبراطورية ؟

فقال الخاطر

ـوهل سيطيع الناس الأمر ؟

فقلت له

- بالرغم من حب الشعب لمولاي الإمبراطور وطاعتهم له إلا أنه من الصعب أن ينفذ الناس أمرا كهذا

فقال الخاطر

- إذن لتدعني أشرح لك الخطة المحكمة التي يمكن بها جعل الناس يمشون حباة كالقرود حتي وإن كانوا في ريعان شبابهم.

فقلت له

- إذا كانت الحكمة القديمة لديكم تقول (إن الناس علي دين ملوكهم)

فماذا تعني هذه الحكمة تعني أن الناس يتبعون ملوكهم في أغلي ما يملكون وهي عقيدتهم وإيمانهم ، وما هو الدرس الذى يمكن أن نستفيد به من تلك الحكمة الدرس الاساسي هو أن البداية التي لابد منها ولابديل عنها هي مولاك الإمبراطور المعظم ولتسمع خطتي :

ليبدأ مولاك الإمبراطور بالمشي حبوا فإذا سأل المقربون من جلالته كالوزراء والمستشارين وعلية القوم عن سر هذه المشية لمولاهم الإمبراطور هل أصابه مكروه فلم يعد قادرا علي المشي علي قدميه فليقل لهم كلا إن مولانا الإمبراطور يفضل هذه المشية عما سواها وأنه يرغب في أن يمشي كل من يريد لقاءه أو الاجتماع به هذه المشية عندئذ سيضطر كل من يريد لقاء الإمبراطور أن يمشي حابيا كالقرد أثناء دخوله واجتماعه وانصرافه

وليستمر هذا الأمر لبضعة أسابيع ثم ليدعو جلالة الإمبراطور إلي اجتماع وزاري يحضره جلالته والمستشارون والوزراء وأن تكون المشية الرسمية للاجتماع هي الحبو ومن لا يحضر هذا الاجتماع فهذا معناه أنه يرفض الحبو وبالتالي يعزل هذا المعترض أيا كان موقعه. عقد هذا الاجتماع بالفعل ولم يغب عنه سوي وزير واحد ومستشاران وتم بالفعل عزلهم في تغيير وزاري محدود. الخطوة التالية لذلك هي أن يعلن مولانا الإمبراطور للوزراء والمستشارين أنه سوف تصعد إليه تقارير عن من يمارس مهام عمله أو يجتمع بمساعديه دون أن يكون الحبو هو المشية الرسمية لهم. تم في هذه المرحلة التخلص من بعض الوزراء والكثير من مساعدي الوزراء في مذبحة إدارية. والخطوة التالية لذلك هو أن يبلغ جلالة الإمبراطور الوزراء والمستشارون أنه نما إلي علم جلالته أنهم اتبعوا الحبو مشية رسمية في عملهم وخارجه مما أسعد جلالته إلا أن الأمر الذي أغضب جلالته هو وصول تقارير أخري تشير إلي أن بعض المساعدين يزورون مواقع العمل بل ويمارسون كل أعمالهم بدون أن يكون الحبو هو المشية المتبعة في هذه الاجتماعات والأعمال وأن جلالته جد غاضب وأنه أعطي فرصة أخيرة لهؤلاء الوزراء والمستشارين ليتابعوا ما يحدث في نطاق مسؤولياتهم، عندئذ سوف يتابع الوزراء والمستشارين مساعديهم وسوف يأمرونهم بممارسة أعمالهم وهم حباة. نكون بنهاية

تلك المرحلة قد ضمنا أن من يتحكمون في مصائر العباد قد أصبحت الغالبية العظمي منهم حبّاة وعندئذ يتم إنشا حزب سياسي يرأسه جلالته يقتصر الانضمام إليه علي الحُباة فقط ويجب أن يسيطر الحزب على الانتخابات وبأغلبية كأسلحة - تم هذا بالفعل - وبعد ذلك يجعل الحبو المشية الرسمية لكل وسائل الإعلام وخصوصا المرئية - بالفعل وذات صباح بعد سنين من خروج المستشار من السجن أطل المذيع من شاشة التلفزيون وهو جالس كالقرد وأمامه ضيف يجلس نفس الجلسة ويتحدث بمنتهى الحماس عن حجم الحريات المتاح في هذا العهد والذي لم يسبق أن تنسم الناس بعض عبيره في أي عهد من العهود السابقة وبعد أن انتهى البرنامج تم الانتقال إلي إذاعة خارجية لنقل جلسة مجلس الأمة الصباحية فظهر رئيس المجلس ووكيلاه وقد اعتلوا المنصة وجلسوا علي مؤخراتهم ورفعوا أرجلهم وأيديهم في الهواء تماما كالقرود إلا أن رئيس المجلس كان يمسك ناقوس بقدمه الحافية يعلن بدء الجلسة الخامسة عشر من الفصل التشريعي الرابع واستدارت الكاميرا علي الأعضاء فإذا بالسواد الأعظم منهم يجلسون نفس الجلسة والغريب أنهم كانوا يصفقون بشكل شبه مستمر إلا أنهم كانوا يصفقون بيد واحدة علي خد واحد.

تقدم الطبيب الذي كان قد أعد الجرعة الثانية من المهدئ ليطلب من

المسجي أن يصمت إلا أن المسعف النحيل اعترض طريقه وأمسك بيده وهو يقول

ـ استنى يا دكتور وحياة الغاليين عندك اسأله عن عنوان الشيخ الواصل قبل ما تحقنه.

اكتست ملامح الطبيب الشاب بالدهشة وتدخل المسعف الضخم قائلاً

ـ والله يا دكتور الموضوع مهم والمشكلة الي عنده ما يحلهاش غير الشيخ الواصل.

تحولت الدهشة علي وجه الطبيب الشاب إلى غضب وقال

ـ شيخ واصل ايه احنا ها نعالج الراجل ولا ها نتشعوذ وبعدين أنتم مجانين اللي يعرف عنوان الشيخ الواصل هو الشيخ طه والشيخ طه كانت دقنه بيضا من اكتر من خمسين سنة دا إذا كان المصرى بيقول كلام حصل مش بيخرف.

وأزاح الطبيب المسعف النحيل وهو يكمل

ـ وسع أنت وهو خلينا نشوف شغلنا

انتحي المسعف النحيل جانبا وتقدم الطبيب واقترب من أذن المسجي وناداه بحنو وخفوت

ـ بطل كلام يا عم مصري

فصمت المصري وعدي المسعف الضخم ذراع المسجي وحقنه الطبيب فلم يتأوه.

وقبل أن تجف مياه حوارهم وتعود الجزر المنعزلة للظهور مرة أخري رمق الطبيب الشاب المسعف النحيل الذي كان يقف كشجرة ضامرة فرُوعُه ما به من انكسار فسأله برقة .

- إيه يا حنفي المشكلة اللي عامله فيك كدا وكانت مخلياك متجنن علي عنوان الشيخ ؟

بدا أن حنفي كان في انتظار السؤال ليزيح عن نفسه همومها فقد رد في تأثر قائلا:

- ياه يا دكتور دا أنا مشكلتي مشكلة . مشكلة مالهاش حل ، مالهاش حل غير عند الشيخ اللي طفا الحريقة أمال أنا كنت هاتجنن وأعرف عنوانه ليه ، ياه دكتور دا أنا ماعدش فيه من التعب والفكر والنكد.

عاد وجه الطبيب الشاب سمحا طفوليا كما خلق وقال

- ايه بس اللي تاعبك ؟

ابتلع حنفي أكبر كمية من الهواء علها تلطف بعضا من نيران همومه ثم زفر الهواء قائلا :

ـ ياريتني عيـان يا دكـتـور يا رتنى عـيـان كنت هالاقي الدوا ولو مـالقتوش كنت هاسلم أمري لله وأتوجع ولما يهدني التعب هانام بس أنا عيـان يا دكتور ، عيان بحاجة عجيبة ، تصدق أنا عيان بأبه يا دكتور أنا عيان بأمي أيوه يا دكتور أمي هي عيايا.

سألت الدهشة التي علت وجه الطبيب الشاب

ـ عيان بأمك إزاي ؟

نثر حديث الطبيب بعضا من الألفة حول حنفي فقال

ـ أقول ايه يا دكتور وأعيد إيه .. طب أقول إيه .. أقول إن أمي بقت متجوزه حداشر ولا اتناشر مرة والله ما عدت عارف أمي اتجوزت كام نفر، أهو كل كام شهر يجي راجل يقعد معايا أنا وأخويا وبعد كام يوم يجي ياخد أمي وشنطة هدومها وزغرودتين وتمشي وبعد كام يوم ولاكام شهـر نلاقي أمي راجعة لوحدها ، أقول إيه بس يا دكتور وأعيد إيه أفضح نفسي أكتر ما أنا مفضوح أقول إن مرات أخويا العايقة البصباصة قليلة الحيا فرخة بكشك عند أمي وإن مراتي الغلبانة اللي ما بيقوتهاش وقت متصورة لأمي عفريته ، أقول إيه بس ولا أعيد إيه يا دكتور.

صمت حنفي وتحدثت نيابة عنه دموع ترقرقت في عينيه مما دفع

الطبيب الشاب للقول.

- هي أمك ما كانتش موافقة علي جوازكم ؟

قال حنفي

- كانت موافقة

سأل الطبيب

- مراتك بتعامل أمك وحش ؟

زايلت حنفي نوبة الغضب فتوجه للطبيب قائلا

- سامية عمرها ما زعلت حد يا دكتور دي سامية دي شيخة بحق ربنا بتصلى الوقت وعمرها ما بتجيب في سيرة حد وراضية وصابرة ونفسها هادي ومحدش بيسمع لها جس.

سأل الطبيب محاولا إبداء الاهتمام

- أمال أمك ما بتحبهاش ليه ؟ بقي ست بالشكل ده فيه حد ما يحبهاش ؟

تأثر حنفي بمدح الطبيب فثار قائلا

- ما هو دا اللي هايجنني يا دكتور ومخليني متأكد إن فيه عمل معمول لأمي بكره مراتي

لم يستطيع الطبيب منع نفسه من القول

ـ أعمال إيه وتخاريف إيه يا جدع أنت

تدخل المسعف الضخم قائلاً

تخاريف إزاى يا دكتور دي لازم معمول لها عمل هو ربنا مش ذكر السحر في القرآن يبقي تخاريف إزاي

انفعل الطبيب قائلا

ربنا كان بيتكلم عن الفراعنة والبابليين ودول من كام الف سنه وبعدين ليه مفيش سحر في أوروبا ولا أمريكا هو معمول لنا لوحدنا ؟

لم يمنع غضب الطبيب المسعف الضخم من القول

ـ إزاي يا دكتور هو أنت هاتعمل دين لوحدك

القي الكلمات وأحس أنه تجاوز حدوده فانكمش علي كرسيه وعلت الحمرة وجهه الذي حاول إخفاءه بالنظر الي الساعة الهرمة الراقدة فوق النافذة المفتوحة .

بدا الطبيب غير راغب في مجادلته إذ لم يوجه رده إليه بل توجه به إلي حنفي .

ـ ومارحتش تفك العمل ليه يا حنفي ؟

أجاب حنفي بيأس.

- رحت يا دكتور وكل اللي رحت لهم قالوا إن ده عمل سفلى وحاولوا يفكوه ماعرفوش أمال أنا كنت هاتجنن علي عنوان الشيخ ليه أنا اللي عارف قيمته.

قال الطبيب كمن وجدها

- طالما الموضوع كدا ما تعزل وتسيب البيت والمشاكل دي كلها .

أجاب حنفي بمرارة تشبه السخرية

- أعزل أروح فين يا دكتور ؟

أصر الطبيب علي حله وقال

- يا أخي الشقق كتيرة

تساءل حنفي بذات المرارة

- بكام يا دكتور ؟

بدا الطبيب في نظر حنفي ساذجا وهو يقول

- ممكن تلاقي شقة أوضة وصالة في حدود مية جنيه

سخر حنفي من سذاجته

- في السنه يا دكتور ؟

ابتسم الطبيب ابتسامة غاضبة وهو يقول

ـ أنت هاتهرج في الشهر طبعا

عاودت حنفي المرارة والسخرية وهو يسأله

ـ أنت عارف أنا بقبض كام في الشهر يا دكتور ؟

ولم ينتظر حنفي الإجابة بل واصل قائلا

ـ أنا شغال بالأجر بعقد يعني ، عقد سنة وياتتجدد ويا ما تتجددش واليوم بخمسة جنيه ، يعني لو اشتغلت التلاتين يوم كلهم هاقبض ميه وخمسين جنيه في الشهر ولو غبت يوم بتتخصم اجرته ولا فيه تأمين ولافيه معاش ولايحزون.

اندفع الطبيب قائلا

ـ ويا أخي أنت إيه اللي جابرك علي كدا ما تشوف لك شغلة تانية ؟

اندفع حنفي قائلا

ـ إيدي علي كتفك يا دكتور تعرف تشوف لي شغلة تانية ؟

كانت يد حنفي ثقيلة علي كتف الطبيب إذ أنه تراجع عن فكرته علي الفور قائلا

ـ يعنى مش ممكن تتثبت ؟

أجاب حنفي بأمل

ـ ممكن طبعا

سأل الطبييب بتعاطف

ـ طب ليه لأ ؟

أجاب حنفي بمرارة

- اسأل المدير

تساءل الطبيب

- مدير المستشفى ؟

أجاب حنفي بحذر وتوجس

- أيوه مدير المستشفي هو اللي في إيده يثبتني

سأل الطبيب بتعجب

- وما بيثبتكش ليه ؟

زاد الحذر والتوجس في عيني حنفي وهو يجيب

- أهو

أحس الطبيب بالحذر في كلمات حنفي فسأله

- أهو يعني ايه ؟

تملك الحذر من حنفي وهو يقول

- أهو خلي الطابق مستور يا دكتور

أغضبه حذر حنفي منه فقال غاضبا

- طابق إيه ومستور إيه ما تتكلم علي طول بلاش لف ودوران

تملك الحذر من حنفي تماما فقال

- لالف ولا دوران يا دكتور أهو سعادته بيحاول يثبتني ومش عارف

وهو ها يعمل إيه أهو بيعمل اللي ربنا مقدره عليه

أحس الطبيب بعدم صدقه فسأله

- هو ثبت غيرك

بدا حنفي مضطرا للقول

- ثبت

سأل الطبيب

- إشمعني أنت ما تثبتش ؟

قالها بملامح ود وتضامن مما أخرج حنفي عن بعض حذره فقال

- أقول لك بس تحلف ما تجيب سيره لحد ؟

علت ملامح الطبيب ابتسامة موافقة وقال

- قول

أصر حنفي علي التأكد فقال

- احلف

لم يجد الطبيب بدا من القول بغضب

- والله ما أنا قايل لحد

تخلص حنفي من بعض حذره وقال

- عاوز المعلوم

سأل الطبيب بذهول

- فلوس يعني؟

أجاب حنفي بتوجس

- ايوه

علت ملامح الطبيب الطفولية موجات من الألوان وقال بذهول

- يا نهار أزرق

قال حنفي بتوجس يكاد يكون رعبا

- أنت حلفت لي يا دكتور

قال الطبيب وهو يحاول الخروج من وقع الصدمة

- عارف إني حلفت لك قول ماتخافش عاوز منك كام

فقال

- خمس تلاف جنيه منهم واحد عشان يشغلني بالأجر وعاوز الأربعة الباقيين عشان يثبتني

قال الطبيب الذي لم يكد يخرج من وقع الصدمة الأولى

ـ أربع تلاف جنيه المفترى؟!

تنهد المسعف الضخم وهو يقول

ـ خمسة خمس تلاف يا دكتور

ردد الطبيب المذهول الكلمات وراءه

ـ خمس تلاف جنيه ؟!

أحس حنفي بالخوف علي تأكيد الطبيب من وقع الصدمة علي وجهه فقال

ـ ماهم مش له يا دكتور هو بيقول إنه مابياخودش منهم حاجة وإن سعادته بيعملها خدمة لوجه الله إنما المبلغ ده بيوصلوا لواحد في المديرية عشان يسلمه للراجل اللي بيعين في الوزارة.

ـ كمان؟

قالها الطبيب الذي زادته كلمات حنفي ذهولا إلا أن الذهول الذي بدا عليه الطبيب المصدوم أغضب المسعف الضخم الذي تدخل سائلا

ـ إيه يادكتور أنت مش عايش في الدنيا ولا إيه الدنيا بحالها ماشيه كدا اليومين دول

أجاب الطبيب الذي لم يغضبه كلام المسعف الضخم رغم نبرة الاستهزاء التي لفته.

ـ أنا كنت بحسب الواسطة ودفع الفلوس في الوظايف الكبيرة والمهمة بس ، زي الشرطة والنيابة والجيش والمراكز الحساسة التانيه إنما باين عليا ما كنتش عايش صحيح وأنا كنت هاعيش وأعرف من أين ؟ أنا بذاكر وبس بقالي خمسة وعشرين سنه الدنيا كلها عندي طب وتشريح وأدوية وفسيولوجي وبيولوجي دا أنا حتي ماكنتش أعرف إن الشرطة والنيابة بالواسطة والفلوس غير لما بابا حاول يدخل اخواتي فيهم أنا باين عليا اتربيت غلط ...

أحس المسعف الضخم أنه نكأ جراح الطبيب فقال معالجا

ـ معاذ الله يا دكتور دا حضرتك مؤدب وذوق وابن ناس قوي ..تحدث الطبيب إلي نفسه وكأنه لم يسمعه

ـ الله يرحمك يا بابا كنت شايل كل الهموم ومفرغنا لمذاكرتنا وبس ذاكر كويس يا بني اعمل الواجب اجتهد عشان مستقبلك لوعاوز درس خصوصي تاني قول لي ولما دخلت الطب .. الشباب اللي زيك هم اللي هايريحوا البلد ويخلصوها من المرض الناس غلابة ومحتاجين اللي يعالجهم زمان فلان مات عشان مالقيوش دكتور يعالجه زمان فلانه ماتت علي إيد الداية ، ولايمكن كان عارف كل حاجة ومرضيش إن ولاده يكرهوا بلدهم..

تدخل حنفي برقة

ـ أنا مش قلت لسعادتك بلاش أتكلم كل واحد فيه اللي مكفيه أنا أسف يا دكتور زعلت حضرتك ونكدت عليك.

أخرجت كلمات حنفي الطبيب من ذهوله فعاد الي ابتسامته الطفولية وإن كانت مغللة بالمرارة وقال

ـ ما تدفع يا حنفى وتتعين زي غيرك

أجاب حنفي بسخرية حاول بها الترفيه عن الطبيب

ـ سامية بتقول حرام وأمي بتقول أجيب لك من أين مع إن أمي معاها معاها أكتر من كدا بكتير.

وأكد المسعف الضخم

ـ معاها يا دكتور معاها

سأل الطبيب

ـ وارثه يعني ولاعندها معاش ؟

ضحك المسعف الضخم فلاحت أسنانه الصفراء وعاد وجهه الضخم لقبحه قائلا

ـ ها تورث إيه من عربجي مات عنده غيرها تلات بنات وخمس رجالة وحرمتين وبعدين معاش من أين من أبو حنفى العربجي وبعدين هم اللي

بيقبضوا معاشات بيبقي معاهم آلافات

نظر الطبيب لحنفي الذي أغضبه المسعف الضخم بكلماته الفجة وقال

- أمال معاها من أين يا حنفى ؟

لم ينجح حنفي في الخروج من غضبه فتدخل المسعف الضخم

- أصلها كسيبة يا دكتور

وجه الطبيب سؤاله لحنفي بابتسامة ودودة

- والدتك شغالة إيه يا حنفي ؟

كاد حنفي ينطق عندما سبقه المسعف الضخم

- دلالة يا دكتور

سأل الطبيب بعد أن نظر إلي المسعف الضخم شزرا

- والدتك بتبيع إيه يا حنفي؟

أسعدته نظرة الطبيب الغاضبة للمسعف الضخم فقال

- بتبيع حاجات كتير يا دكتور في الشتا بتبيع أنابيب البوتاجاز

سأل الطبيب

- ودى بتكسب يعنى ؟

أجاب حنفي

- طبعا بتكسب يا دكتور ، أمى بتاخد أنبوبة البوتاجاز من المخزن

بتاع الأنابيب بتلاتة جنيه إلا ربع وتبيعها بخمسة جنيه بتاخد تلاتين
أربعين أنبوبة في اليوم واحسبها أنت بقى

سأل الطبيب

ـ وهى من حقها تاخد الأنابيب دى كلها ؟

أجاب حنفى متعجبا من سؤال الطبيب

ـ من حقها تاخد بس تاخد أنبوبة واحدة زي الناس وتقف فى الطابور
نص يوم عشان تستلمها

سأل الطبيب

ـ فهمنى بقى إيه اللى بيحصل ؟

أجاب حنفى

ـ الحكاية يا دكتور مش فردة ولا بلطجة الحكاية إتفاق مع صاحب
المخزن هو بيديها الأنابيب وهى بتزوده نص جنيه عن سعر الأنبوبة

سأل الطبيب

ـ وما بيخفوش من بتوع التموين ؟

أجاب حنفى مبتسما

ـ بتوع تموين إيه يا دكتور ده اللى مش حرامى منهم ومرتشى بيخاف
من أمى واللى زيها.

سأل الطبيب متعجبا

- بيخافوا ليه ؟

أجاب حنفى بابتسامة فخر

- بيخافوا ليضربوهم يا دكتور أي والله بيضربوهم أنت متهيألك حد من بتوع التموين يقدر يقرب من أمي بعد اللي عملته.

لم ينتظر حنفى سؤال الطبيب المتعجب بل واصل

- مرة يا سيدي كانت جايبه الأنابيب على العربية الكارو بتاعتها وماشية بيها فى وسط الخلق وهما واقفين من صباحية ربنا فى الطابور وخناق وعراك على الدور ، واحد افندى منهم جرى نده على مفتش تموين صاحبنا جه يجرى لحق أمى على باب البيت وهى بتنزل الأنابيب صاحبنا مسك الأنابيب وقال لواحد كان جاى معاه إنده للمركز ووقف ناقش ريشه زى اللى أخد نيشان وبيتكلم مع الناس اللى عمالين يتحيلوا عليه يسيبها تاكل عيش وعمال يزعق ويقول حق الناس أنابيب الغلابة إلا ولقى كف نازل على قفاه وشلوط رميه على الأرض ولقى أمى راكبه فوقه وصاحبنا يتفلفص يمين وشمال وهى نازله فوقه طحن لحد ما خلت وشه شوارع ومحدش قدر يقرب منها لحد المفتش ما أغمى عليه أمى قامت دارت الأنابيب وخبطت دماغها فى الحيطة وجريت على المركز ومن المركز

للمستشفى عملت تقرير طبى وتحولوا الاتنين على النيابة هى عملت له قضية هتك عرض وجناية إصابة أدت لعلاج أكتر من واحد وعشرين يوم وهو عمل لها قضية اعتداء على موظف أثناء تأديه عمله.

سأل الطبيب بضحكة طفولية

- والنتيجة ؟

أجاب حنفى وهو يكتم ضحكته.

- ساق عليها طوب الأرض عشان تتنازل عن القضيتين ويتصالحوا لحد الراجل ومديره ماجم وباسوا دماغها وفى النهاية معتقتهوش غير لما لهفت منه ألف جنيه واشترطت عليه ينقل نفسه.

سأل الطبيب متعجبا

- ونقل نفسه ؟

قال حنفى بفخر

- طبعا يا دكتور

قال الطبيب مبتسما ومشفقا على حنفى

- دى حاجة صعبة قوى أنت عايش معاها إزاى دى

أجاب حنفى

- دى أمى طيبة قوى يا دكتور وجدعة

سأل الطبيب معترضا

- طيبة وجدعة !

أجاب حنفى متحمسا

- أى والله جدعة أجدع من مية راجل بس طول ما أنت بعيد عن لقمة عيشها وعيالها تبقي أجدع من مية راجل ، طب يا دكتور خلى واحدة غلبانة تقصدها فى أنبوبة أو بجنيه عيش تديه لها ولو مفيش غيره ولو لزم الأمر من غير فلوس ، أو خلى واحد يقصدها فى قرشين سلف عمرها ما تأخر له طلب لو هاتستلف وتدى له ، طب خلي حريقة ولاخناقة ولا حادثة تحصل في الحتة تلاقيها أول واحدة واقفة ، طب الأعجب من كدا يا دكتور إنى فى بعض الحالات بصادفها بتعيط وهى بتتفرج على الأفلام القديمة بتاع فاتن حمامه وأمينة رزق وحسين رياض وعبدالحليم حافظ وخصوصا عبدالحليم حافظ وخصوصا الفيلم بتاع مريم فخر الدين اللي بيعمل فيه العملية ويجي خبر إنه مات وإلا الحتة اللي أمة العامية بتسمع فيها الأغنية وبيقطعوها ويذيعوا خبر العملية وأمة تزعق وتقول إبني إبني ألاقي الدموع بتسح من عين أمي.

حدث الطبيب نفسه

- دي حاجة عجيبة قوى !

ـ هي كدا يا دكتور ربنا خالقها كدا

سأل الطبيب الذي تملكته نشوة الاستماع

ـ وأمك بتحب مراة أخوك ليه ؟

أعاد السؤال حنفي لأحزانه وقال

ـ عشان كسيبة وبتشتغل معاها في العيش حضرتك هاتسأل يعني إيه أنا هاقول لحضرتك ، أمي ليها بية جنيه عيش كل يوم تستلمهم من الفرن سعر الأربعة بربع بدل الخمسة وأمي تبيعهم بيسعر التلاته بربع جنيه أمي تستلم العيش وتسلمه لمرأة أخويا تقعد تبيعه وترجع الفلوس لأمي وفوقها نص المكسب.

أكمل الطبيب الوجه الثاني وهو مبتسم

ـ عشان كدا الناس مش لاقيه العيش وكل كام يوم يجيلنا واحدة ولا واحد متعور من الزحمة علي الأفران اللي دراعه مكسور واللي طحاله مفرقع واللي متخانق علي الدور ودماغه مفتوحة بس ليه الحكومة ماتزودش الدقيق والناس ترتاح والعيش يتوفر وما يبقاش فيه مجال للعب ؟

منع حنفي ضحكته وهو يقول

ـ ما هي بتزوده وبتوع الأفران بيبعوه في السوق السودا وبيكسبوا

في الشوال خمسين جنيه

تسائل الطبيب

ـ والحل ؟

أجاب حنفي بدون أن يكتم ضحكته

ـ لاتكون من البهوات أو من الأعيان والعيش يجي لبهايمك لحد الشونة ، يا تشتري عيش من عند أمي ، ياتقف في الطابور نص يوم ، ياتشوف لك بلد تانيه

ضحك الطبيب قائلا

ـ أنا م البلد دى .. ماشي يا عم حنفي لو عوزت عيش هاقول لك تجيبهولي من عند أمك ، وليه مراتك ما بتشتغلش معاهم عشان أمك تحبها ؟

غلف الإنكسار ضحكة حنفي وهو يقول

ـ عامله شيخة ويتقول حرام مع إن مراة أخويا الدهب في إيديها لحد كوعها ودايما هايصة وعايقة ولابسة رغم إن سامية شكلها أحلي منها ألف مرة طب تعرف حاجة يا دكتور مرة أمى قالت لمراتى مفيش عيش ليك أنت وجوزك اطلعي اشتري عيش وراحت الغلبانة وقفت في الطابور لحد قرب الضهر والواد علي كتفها ورجعت وإيديها فاضية وقعدت أمي

هي والعايقة يضحكوا عليها لحد ما المكسينة انفطرت من العياط لحد ما
جيت، ورحت أعتب علي أمي أمي قالت لي مراتك خايبه ومش هاتنفعك
سيبك منها وأنا أجوزك بت تأكلك الشهد زي مراة أخوك ما هي مهنياه
وحلفت لي يمين إنها تجوزني في ظرف أسبوعين ، بس أنا مارضتيش
وقلت لها أنا ماشوفتش حاجة وحشة من سامية ، مصمصت شفايفها
وقالت ولا شوفت منها حاجة حلوه يا عين أمك ، قلت لها يامه أنا ما
أعرفش أستغني عن سامية دي مؤمنة وطاهرة ، قالت لي يعني إحنا
اللي نجسين وكفره ، يامتعوس روح خليها تنفعك أحلق شنبي إن عمرك
عجنت بإيدك ولا إتقدمت خطوة ورجعت تدحلب وتقولي يا متعوس أنا
عاوزه مصلحتك دي مفيش منها فايدة ، قلت لها يامه هي قصرت في
حاجة؟ قالت لي طب أقول لك حاجة إيه رأيك لو جبنا لمراتك قصعة
وشوية فحم وقد قيراط دره وقعدت قدام البلوك تشوي واهي لاهاتروح
شمال ولايمين وتساعد وتتودك ، قلت لها حاضر وقلت لسامية قالت لأ
أنا ماقعدش ملطشة في الشارع لقلة أدب الرايح والجاي ، قمت ضربتها
ودي كانت أول مرة في حياتي إيدي تتمد عليها وكنت بضربها وإيدي
هاتتشل وقلبي بيتقطع هو فيه حد مانفسوش مراته تتكن في داره بس
أنا قلت شغلة خفيفة نرضي بيها أمي بس يومها ضربتها جامد قوي

والمسكينة ماحاشتش إيدي وماكانتش غير عمالة تعيط وتقول حرام عليك يا حنفي حرام عليك يا حنفي ربنا يسامحك يا حنفي وماسيبتهاش يومها غير لما قالت هاعمل اللي أنت عاوزه هاعمل اللي يرضيك يا حنفي

وقعدت المسكينة في وسط الدخان قدام القصعة من العصر لنص الليل ورجعت بالدره يمكن زي ماهو وتاني يوم كذلك وتالت يوم كذلك لحد أمي ماسوطت وقالت الحكاية كدا هاتقف بخسارة ودخلتها وطلعت العايقة وقعدت العايقة تغمز للي رايح واللي جاي وتنده وتقول الملهلب ، الملهلب للملهلب ، دره الحبايب الملهلب ، كلوا علي السرير أحسن من الحمام يا ملهلب ، مفيش ساعتين تلاته كانت بايعه قيراط الدره وداخله وأمي شاطط والشقة قادت حريقة وحيا الله سامية ما هي بايته فيها وش الشوم وش الفقر الخروبية وسمعتها كلام من المتنقي وفرجت عليها الإيواء كله سامية مشيت من هنا ومسكتني أنا وحيا الله لأني مطلقها ومراتك خايبة ومش هتنفعك وعمرك هايروح هدر يا متعوس دا حتي العيل اللي جابتهولك طلع أهبل و ...اندفعت العبرات من عيني حنفي فتلقاها بيديه وغطي وجهه وانخرط في بكاء اهتز له جسده كله وقلوب الحاضرين وانطلقت الكلمات واللمسات مختلطة من الجميع حتي الجالسة

- وحد الله يا حنفى

- كل مشكلة وليها حلال يابني

- عيب دا دي مش عمايل رجاله

- احمد ربنا يا بني

- يا بني صلى علي النبي

- ماتبقاش عيل بقي

- ياأخى أنت مش مؤمن وحد بالله ياجدع

وردد من بين دموعه وتشنجاته

- لا .. الله الا اللا !!!!!!!ه

- صلي الل.

- الحمد لله .. الحمد لله

وتماسك قليلا وقال

- حتى أمي بتعايرني

وزادت حدة بكاءه وعلا نشيجه

وتدخل المسعف الضخم وهز حنفي هزات عنيفة في كتفيه وجذب يديه ونظر في وجهه قائلا:

- عيب خليك راجل أنت هاتعيل دا أنت طول عمرك زي الجمل عيب إحنا في شغل عيب الدكتور بيتحيل عليك عيب عشان خاطر الدكتور.

وسلمت الورقة التى انتهت عند هذا القول للحاج صبرى فسلمها بدوره للكبير الذى أزعجته الهمسات التى ترددت بين المتحلقين وانحنى الطبيب على المصرى وهمس فى أذنه

ـ بطل كلام ياعم مصري

فلقد كان هناك صراع يكاد يمزق الطبيب بين حنفي المنهار وحديث المصري الذي يود سماع نهايته والذي خرجت علاقته به عن العلاقة المعتادة بين طبيب ومريضه بل وأصبح يتمني أن لايفيق المصري قبل أن يكمل حكايته وتأكد لديه أن هذا الرجل قد يكون أكثر وعيا من كل من حوله بل وتأكد لديه أن المصري لايحتاج علاجا قدر ما يحتاج واقعا مختلفا ، أما حنفي فدموعه كطوفان يجرف كل الجالسين لمناطق من الألم والقلق والمرارة ويحطم كل جسور الفردية التي بناها كل منهم هل اتركهم هكذا يتصارعون بعد موتي ليستغل المغرضون الفرصة وينقضوا علي كرسي الحكم ويضيع ما فعلناه وأنجزناه طوال هذه السنوات هباء ؟

أجاب المستشار بابتسامة حكيم

ـ حاشا لله يا جلالة الإمبراطور بل سنجد الحل الذي يضمن لكل منهم امتيازاته حال وفاة جلالتكم أطال الله عمر مولاي وبالتالي لن يتصارعوا.

قال الإمبراطور

- هل أصدر أمرا إمبراطوريا بتحديد اختصاصات كل منهم وسلطاته فإذا اختير منهم ولي واحد للعهد فإنهم يكونون قد ضمنوا اختصاصاتهم وسلطاتهم وبالتالي لن يتصارعوا ؟

قال المستشار

- فكرة رائعة يا جلالة الإمبراطور حفظ الله ذكاء مولاي للإمبراطورية ولكنهم يا مولاى لن يوافقوا

- لما ؟

قالها الإمبراطور وأجاب المستشار

- لأنهم سيخشون إن أصبح أحدهم إمبراطور أن يصدر أمرا إمبراطوريا يلغى به الأمر الذى ستصدره جلالتكم .

قال الإمبراطور

- إذن لنجعله نصا دستوريا فلا يستطع الإمبراطور القادم تغييره

قال المستشار بنفس الابتسامة

- أطال الله عمر مولاي الإمبراطور إنها فكرة جميلة هي الأخرى ولكنهم لن يوافقوا

قال الإمبراطور

- لما لن يوافقوا علي هذه أيضا ؟

قال المستشار

- إنهم يا مولاى يعلمون أن تغيير الدستور يستلزم موافقة مجلس الأمة ويعلمون أيضا أن الناس على دين ملوكهم وبالتالي فهم يعلمون أنه لو تولي أي منهم الإمبراطورية فلن يصعب عليه تغيير الدستور وخصوصا أن مجلس الأمة لدينا لايختار بانتخابات ديموقراطية حرة.

قال الإمبراطور منفعلا

- إذن لنجعلها انتخابات حرة الكاميرا ومن خلفها ومن داخل التليفزيون ومعظم من أمامه الكل أصبح حابيا بقدر أو بآخر بإرادته أو بدون إرادته ، وبعد أيام بدأ أولياء العهد في تولي المواقع الهامة في الإمبراطورية فمنهم من تولي رئاسة مجلس الأمة ومنهم من تولي قيادة الجيش ومنهم من تولي رئاسة الحرس الإمبراطوري ومنهم من تولي وزارة النفط وأخر لوزارة الخارجية وغيره للداخلية وسواه للتعليم وخلافه للصحة و الخامس عشر للزراعة والسادس عشر للثقافة والسابع عشر للصناعة والعشرين للتجارة والحادي والعشرين للمالية والثانى والعشرين للاقتصاد.

وبدأ كل ولي للعهد في ممارسة مهامة ولأن أباهم واحد وأمهاتهم شتي فقد بدأ الصراع بينهم مبكرا وأحاط كل ولي عهد نفسه بأتباع يكون ولائهم له وحده ، ودس كل منهم الجواسيس علي الآخرين ، وحاول كل ولي للعهد استقطاب أكبر عدد من الصحفيين والمثقفين ووجهاء

القـوم ، وزاد الصـراع بينهم علي المال ، وأصـبحـوا يتـبـاهون بعـدد السـيارات والقـصور والطائرات والمنتجـعات والشـركات والمليارات ، وعندما بدأت صحة الإمبراطور في الزوال وزادت أزماته الصحية وزاد زواره من الأطباء وتعددت الجرعات والجراحات والجلسات زاد الصراع بين أوليـاء العـهد وأصبح علي أشده حتي أن الإمبـراطور وهو علي فـراش الموت أضطر أن يرسل لمستشاره المقرب والذي عاد منذ زمن القلب كبير المستشارين ليسأله عما يفعله لكي يضمن عدم تصارع أولياء العهد بعد وفاته ، وخصوصا أنه اجتمع بهم ليختـاروا من بينهم وليا واحدا للعـهد ويصبح الباقون أمراء إلا أنهم رفضوا ذلك وأصر كل منهم أن يصبح هو ولي العهد ولما قرر هو أن يختـار من بينهم وليـا للعهد تراجع عن قـراره عندما نما إلي عمله اتفاقهم على التربص بولي العهد أيا كـان . وجلس المستـشار علي كرسيه نفس الجلسة التي جليها منذ أكثر من عـشرين عاما ليضع نظرية الحُباة وبنفس الثقة والهدوء وبشعره الذي اشتعل شيبا وبالخطوط التي تركتها علي وجهه الأيام المكائدة والمؤمرات والتـشبث بالكرسي طوال هذه السنوات ، وبعـد أن اسـتـمع طويلا لشكوي الإمبراطور بدأ حديثه الواثق دائما

ـ يا جلالة الملك إن صراع أوليـاء العـهد شئ طبيعي فـأمهاتهم شتي وأي محاولة لتقريب وجهات النظر بينهم لاختيار ولي عهد واحد ستبوء

بالفشل .

قال الإمبراطور بيأس

استند الطبيب بيده علي كتف حنفي وقام رابطا علي رأسه في حنو وبخطوات متثاقلة انحني علي المسجي وقال

- إيه يا عم مصري إدوك ورقة ثانية ولاخلصوا علي كدا ؟

وتحدث المصري فقال

تجاهل الكبير الرد علي الهمسات والابتسامات الصادرة من المتحلقين حولي وسارع بإعطائي ورقة وهو يقول

- ياله يا بني خلينا نخلص هانت أهه

وتناولت الورقة فكان بها

صفحة رقم (٨)

وبالتزامن مع استخدام وسائل الإعلام للحبو كمشية رسمية يتم عمل حملة إعلامية تشمل مقالات وتحقيقات وندوات ومناظرات وتحليلات وأفلام وثائقية وروائية عن الحبو كطريقة لممارسة الحياة وبعد نهاية هذه المرحلة يتم التأكد من أن كل من يشغلون مناصب ومراكز حساسة في الإمبراطورية من الحُباة أي فرد فى أى وظيفة هامة إلا إذا أكدت الأجهزة السرية للإمبراطورية أنه من الحُباة بل أن أهله وأقاربه ليس منهم أحد له

علاقة من قريب أو بعيد بالمنتصبين علي أقدامهم الرافضين للحبو عندئذ وفي هذه المرحلة سيكون الحبو قد تأصل وأصبح تباهيا إذ سيكون الطريق الوحيد المضمون للوصول للمناصب والوظائف الهامة وإذا بقيت قلة معترضة عليه فإنهم يجب أن يهمشوا وإذا تسببوا في أية قلاقل يسجنون .

وهكذا يا سادة أهل المجتمع وأعد جيدا لاستقبال ولاة العهد الحُباة بطبيعتهم ، فبعد عشرين عاما كان ليرى فيهم أولياء العهد سوي صور في الجرائد والمجلات . كان قد أذيع منذ أكثر من عشرين عاما أن ولاة العهد تم تسفيرهم إلي الخارج لينهلوا من علومه وآدابه حيث سيوكل إليهم مهمة تطوير الإمبراطورية عقب عودتهم مباشرة . زطل علينا ولاة العهد عبر التلفزيون في عيد جلوس مولانا الإمبراطور وقد توسطهم أباهم ومن خلفهم المستشار وكبار رجال الإمبراطورية والجميع جالسون كالقرود ، وكان الحفل كله من الحُباة حتى الفرقة الموسيقية ، فعازف العود وضع عوده علي الأرض وانكفز عليه وقد ارتفعت مؤخرته ، وكذلك عازف البيانو ، والكمنجات جلس عازفوها علي مؤخراتهم وامسكوها بقدم ويد ، أما المطرب الشهير فكان يغني وهو يقفز علي المسرح كالقرد وقد علق الميكرفون برقبته . كان الكل حباة من أمام

كانت الثمالة الباقية من كوب الماء الذي أجبروا حنفي علي شربه نقطة في بحور الأحزان التي ترسبت في قلوب الجميع وأغرقت كل أشرعة المواساة بداخلهم إلا أن الجالسة التي يبدو أنها خبرت السباحة في هذه البحور كانت أول من وصلت الي الشاطيء فمدت لحنفي الطوق قائلة.

- هو أنت عندك عيال غيره يا بني ؟

تعلق حنفي بالطوق قائلا

- لا ياحاجة

جذبته وهي تقول

- من زمان مراتك ما حملتش ؟

سبح حنفي للشاطئ قائلا

- من ييجي خمس سنين ياحاجة

احسبت انه كاد يصل للبر وهي تقول

- إحمد ربنا يا بني يمكن لو حملت كان طلع زي أخوه

قال حنفي الذي وصل لتوه إلى بر السكينة

- حمدينه يا حاجة حمدينه وله ألف شكر والله يا حاجة أنا كنت بصادف سامية وهي فى عز الليل عمالة تبص في وش الواد وهو نايم زى الملايكة وتعيط أقوم أزعق لها وأقول لها احمدي ربنا وأهديها ولما تنام

أدى وشى للحيطة وأقعد أعيط.

وصل الطبيب ومعه المسعف الضخم أخيرا للشاطئ حيث قال

- هى مراتك قريبتك يا حنفى ؟

أجاب حنفى ومازالت أثار الدموع ترسم حاجزا شفافا فى عينيه

- لايادكتور

سأل الطبيب

- ولا بتأخد أي موانع للحمل ؟

أجاب حنفى بعدما أزال الحاجز بيديه

- دى حاجة من عند ربنا يا دكتور

سأل الطبيب

- ومعرضتهاش على دكتور ؟

أجاب حنفى وقد ملأه دفء التفافهم حوله

- عرضتها وقالوا مفيش موانع للحمل

ابتسم الطبيب الذى أسعده الدفء فى كلمات حنفى وسأل

- وعرضت نفسك عى دكتور ؟

أجاب حنفى مبتسما

- مفيش أى موانع للحمل

ضحك الطبيب والجالسة ولكز المسعف الضخم حنفى فى كتفه وهو يقول أنت ها تنكت يا متعوس

قال حنفى

ـ من غلبي يا أبو جاسر من غلبى

جفت بحور المرارة تماما فعاد الطبيب إلى نهمه وسأل مبتسما

ـ امال إيه حكاية أمك اللى اتجوزت حداشر ولا اتناشر ؟

أخرج السؤال الجالسة خجلى من الحوار وأخرج الكلمات من فم حنفى

ـ الحكاية يا دكتور من الأول إن أمى وارثة حكاية الدلالة أما عن ست أمي دلالة وخالاتى كلهم دلالات وأمهم دلالة وستهم دلالة.إنما الرجالة شغلتهم بجيبوا البضاعة ويحرسوهم وهما بيبعوا وأخر اليوم يلموا الإيراد ويلموا الحريم ويروحوا ، وأمي يمكن من ساعة ماوعيت علي الدنيا وهي شغالة الشغلة دي لحد خراط البنات ما خرط أمي.وأمي خدت نصيبها كامل من الحلاوة.وكانت حلوة حلوة قوى.هي مشكلتها الوحيدة فى صوتها.رجالى قوى مش عارف هي اتولدت بيه كدا ولاكتر الزعيق هو اللى خلاه كدا.ومع إن أبويا معاها فى السوق وهما عيال صغيرين إنما باين خراط البنات بيعدى يخرط البنات بالليل زى ما بيقولوا ، أبويا فجأة لقاها شابة زى القمر قدامه برج من دماغه طار وطار وراها مكان ما

تروح وخناق وعراك وعتاب من جدى أبو أمى لجدى أبو أبويا وانتهى العتاب بقراية الفاتحة.وشهر وكانوا متجوزين.وسنة وكنت شرفت.وأمى خدت مكان ستى وأبويا خد مكان جدى.بقى هو اللى بيجيب البضاعة وأمى هى اللى تدلل ، وأبويا رغم إن كان جسمه ضعيف زيى إنما كان عصب وكان يشيل الراجل قده خمس مرات ويخبطه فى الأرض.وكانت فلوسه كتيرة وكان بيصرف على كيفه ومزاجه وسهراته بجنان.وفى ليلة كان متقل العيار قوى وجه من السهرة علق الحمار فى العربية وراح يجيب شوية بضاعة من الجمعية بتاعت التموين حكم أمين المخزن كان بيبيع الحاجات دى قبل الفجر عشان محدش يشوفه.والمخزن كان ورا السكة الحديد.والشبورة كانت طابقة للأرض.أبويا حمل شوية البضاعة ومروح وقعت منه كرتونة علي السكة الحديد رجع يجيبها قطر الفجر هرسه ، ومن بعدها أمى بقت تستقضى البضاعة وتحرس وتدلل وتربي بقت تعمل كل حاجة وعدى سنة وأمى الهم تقل عليها دورت على راجل يحميها ويساعدها اتجوزت أبو مصطفى أخويا وأبو مصطفى كان طول بعرض ويخوف سوق بحاله قعدت معاه سنتين جابت منه مصطفى وتوكل على الله هو راخر .

ـ مات ؟

سأل الطبيب بطفولية

وأجاب حنفى

- لا إتلم على واحدة مريشة وساب أمى وإبنه وغرق فى العز

سأل الطبيب

- وأمك عملت إيه ؟

أجاب حنفى

- المرة دي ماضيعتش وقت إطلقت بعد فضيحة وماعداش يدوب أربع شهور وكانت متجوزة راجل كانت إيده طارشة كان يضربني الكف أنزل أدور علي قروش في الأرض وأنكش التراب بإيديه أمي عشان تلمه عني دخلتني المدرسة وقعدتني عند ستى لحد ما سافر علي العراق أيام ما كان فيه عراق وهناك ربنا أنتقم لي منه ومفيش سنة أو ما يكملش وجالها خبره قال ايه الزبون من أول ماراح راقد عند حرمة من حريم العراق في شارع معرفش إسمه ايه شارع بطال يعني حكم بيقولوا إن المصري عند العراقيات فاكهة لحد ما جه بلطجي غيره زاحه وقعد مكانه جوز أمي ما سابوش لبد له في الضلمة ودبحه زى الخروف و الخروف كان كردي والأكراد هناك زي الصعايدة هنا مايسبوش تارهم أبدا ، لفوا عليه العراق كله لحد ما مسكوه عند حدود الكويت هو وواحد صاحبه وهما

بيهربوا ، ركنوا صاحبه ودبحوا جوز أمي ، وإديروا علي صاحبه ضربوه علقة موت رقد فى المستشفى ست شهور ورجع معاه الخيبة والخبر الأسود علي دماغ أمي ولحد كدا يادكتور أمي كانت مدوبة تلات رجالة في تمن سنين ومعاهم كان داب جدودي لاتنين وستي أم أمي ، وأمي ماعدتش طايقة نفسها وبقت بتحانق دبان وشها وكل يوم في المركز ومن المركز للنيابة وقضايا ومشاكل مع خلق يامه لحد أمي ما إتلمت علي واد كان كاتب محامي والواد ده كان فلسطينى بس بحق ربنا كان واد يسوي مديرية كان ذكي وجدع ومتنور وعارف الدنيا ما شيه إزاي ويقعد معاك يفهمك الدنيا دي ماشيه إزاي والأمريكان عاوزين إيه والروس غرضهم إيه واليهود عملوا إيه وبيعملوا ايه وهايعملوا إيه وكان يشخط في أمي الشخطة يرعبها وكان واد قمحى وعيونه كحيلة وراجل بحق راجل لامم أمي وشاكمها.وماعدش مشاكل ولاخناق ولاقضايا و...

قاطعه الطبيب الذي شده الوصف

- إوعي تقولي مات راخر ؟

أجاب حنفي

- ما ماتش بس بردوا ماصحيش

سأل الطبيب

- إزاي بقى ؟

أجاب حنفي

- جه في أخر أيامه معانا وإتغير وبقى سرحان وعنيه بتنقط حزن ولاعاد بيضحك معانا ولامع حد ولاعاد بيشخط وقعد من شغله ومفيش غير نفخ وسيجارة من ورا سيجارة ولاعاد بياكل ولابيشرب أمي سألته أنت عيان يا أخويا ولاحاجة ؟ فيك إيه يا خويا ؟ أنت الفلوس مقصرة معاك ؟ طب فيه حد مزعلك ؟ تكونش زعلان إن ربنا ما إدناش عيال لحد دلوقتي ؟ ياخويا ما قلت لك روح لدكتور أنت قلت لي عيالك هم عيالي ، دا حتي العيال بيقولولكش غير يابا ، وبعد محايلة ومناهدة وعياط أيام وليالي قال إنه أهله واحشينه قوي وإنه ماعدش قادر يصبر علي فراقهم وإن علوز يروح يشوفهم.

- في فلسطين ؟

سأل المسعف الضخم

وأجاب حنفي

- شويه منهم في مخيم في بيروت وشويه في سوريا وشويه في فلسطين

- ودا كان هايروح لهم إزاي ؟

سأل المسعف الضخم

وأجاب حنفي

- قال إنه هايسافر لبنان يقعد شوية عند اللي هناك وبعدين يروح دمشق يزور اللي هناك ويرجع الجنوب اللبناني يتسلل لإسرائيل ومن هناك هايروح عند أهله

- وراح لبنان ؟

سأل الطبيب

وأجاب حنفي بحزن

- راح

- وعرف يتسلل ؟

سأل الطبيب

وأجاب حنفي

- ما أعرفش يا دكتور اللي أعرفه إنه بعد ماركب المركب للبنان بيومين تلاتة إسرائيل بقت هي ولبنان حتة واحدة اليهود إحتلوا لبنان

- وهو ؟

سأل الطبيب بتأثر

وأجاب حنفي بحزن

- مانعرفش عنه حاجة من ساعتها لانعرف مات ولاعايش ولا اتسلل ولا اتمسك وإن كان مات مات فين في لبنان ولافي سوريا ولا في

فلسطين وإن كان عايش فين وإن كان اتمسك فين كل اللي نعرفه إننا مانعرفش عنه حاجة من ساعتها.

- وأمك ؟

سأل الطبيب

وأجاب حنفي

- واستنت سنة كانت طول الليل تتقلب وتنفخ وتدعى إن ربنا يجيبه بالسلامة وبعد السنة بسمعها بتتقلب في السرير وتنفخ وتلعن أبو اليهود وبعد كام شهر بقت بتلعن أبو فلسطين وأبو العرب وأبو المصريين اللي ما حدش منهم ملا عينيها واتجوزها بدل الفلسطيني

- وبعدين ؟

سأل المسعف الضخم من خلال ابتسامته الفاحشة

وأجاب حنفي موجها حديثه للطبيب

رفعت قضية واطلقت غيابي بعد ما عدا أربع سنين غيابه كانت فيهم رجعت أفظع من الأول تاني وعدت الأيام وكل كام شهر تتلم علي واحد وتتجوزه وبعد كام يوم ولا كام أسبوع ولاكام شهر بالكتير ترجع لوحدها تانى لحد ما بقيت من كترهم مش عارفهم وكنت كبرت وخلصت الإعدادية واترفضت من الدبلوم واتحيلت عليها كتير تسيبها من الكلام ده كانت تقولي وحياة أبوك دا حلال ربنا وإن كنت بتدفع لي حاجة ما تدفعهاش لحد ما سمعتها بتتكلم مع العايقة وكنت نايم صاحي في

أوضتي والعايقة بتسألها ألا يامه أنت بتتجوزي كتير كدا ليه وما اتكنتيش مع واحد من اللي أنت بتبدلي فيهم ليه قالت لها يابت هو أنا بخطري يابت دا يوم المني عندي بس يابت رجالة اليومين دول ماعدوش رجاله هو الفلسطيني لو كان يرجع..

سأل الطبيب محاولا تغيير الموضوع وقد علته حمرة الخجل

ـ ولما هي معاها فلوس كدا ما بتكديش فلوس تاخد شقة ليه وتتشبت بدل ما أنتم عايشين تلات أسر في شقة إيواء أوضتين وصالة ؟

تدخل المسعف الضخم وهو يضحك بفحش

ـ ما هي خايفة لو خلصت فلوسها ما تلقيش رجاله

رد حنفي بغضب وقد انتفض واقفا

ـ ما تحترم نفسك يا جدع ، أنت من أول ما قعدنا عمال تدلدء شمال ويمين زي عربيات الزبالة كدا ليه ، أنت مش عايش مع بني أدمين ولا إيه ؟

انفعل المسعف الضخم وانتفض واقفا وقال ويديه تكاد تلمس وجه حنفي.

ـ جرا إيه يا حنفي أنت هاتقل أدبك هو أنا قلت حاجة غلط أنت بتزعل من الحق ليه ؟

تدخل الطبيب

ـ ماتقوموا تضربوا بعض أحسن أنتو هاتنسوا نفسكم أنا اللي غلطان

أنا ايه اللي قعدني أتكلم معاكم أصلا أخرص أنت وهو وقعدوا علي جنب خلينا نشوف شغلنا.

واعتذر الطبيب الشاب للجالسة بابتسامة خجلي وتقدم حتي كادت شفتيه تلتصق بأذن المصري وقال

- ايه يا عم مصري ادوك ورقة تانية ولاخلصوا علي كدا ؟

وتحدث المصري فقال

تجاهل الكبير الرد علي الهمسات والابتسامات الصادرة من الملتحقين حولي وسارع بإعطائي ورقة وهو يقول

- ياله يا بني خلينا نخلص هانت أهه

وتناولت الورقة فكان بها

صفحة رقم (٩)

قال المستشار منفعلا

- لا يا مولاي الإمبراطور وأعتذر أن بدأت بكلمة لا ولكن انتخابات حرة سيستغلها المغرضون من المنتصبين علي أقدامهم أعداء مولاي الإمبراطور والإمبراطورية ليصلوا بها إلي سدة الحكم ولن يحكم مولاي الإمبراطور ولا أولياء العهد من بعده وكما قلت لجلالتكم مرارا إن شعب هذه الإمبراطورية لايقدر الديموقراطية الكاملة ولايفهم أبعادها ومسؤولياتها وإذا أعطينا هذا الشعب الديمقراطية الكاملة فلن نستطيع

السيطرة عليه وخصوصا أن الوعي والثقافة متدنية وبالتالي لا نأمن شر المحرضين والمستغلين فما زال شعب الإمبراطورية لايعلم أين صالحه ولايستطيع الشعب حتى الآن التفرقة بين من يريد الدفع به إلي صالحه ومن يريد الدفع به إلي التهلكة وبالتالي فإن أفضل السبل هي سبيل ديمقراطية الجرعات التي تتبعها الإمبراطورية قال الإمبراطور

ـ حيرتني أيها الداهية أرحني إن كان لديك حلا

قال المستشار

ـ أراح الله مولاي من أعدائه نعم يا مولاى لدي الحل والحل أوحي لي به مولاي في سياق حديثه الرائع.

قال ذلك ونظر إلي وجه مولاه الذي أحدث فيه الإطراء نوعا من الترهل زادته الإبتسامة البلهاء وهو يقول

ـ ما هو بالضبط ؟

قال المستشار

ـ أن تقسم جلالتكم السلطات بينهم

قال الإمبراطور

ـ نعم ولكن كيف ؟

قال المستشار

ـ بأن لانجعل لأحد منهم سلطة علي الآخر

خجل الإمبراطور من كثرة أسئلته فقال بعينيه فقط

- كيف ؟

قال المستشار

- إن الله لم يرزق مولاي الإمبراطور باثنين وعشرين وليا للعهد بلا حكمة ولكن الله يعلم أن لدي مولاي الإمبراطور اثنتان وعشرون ولاية فأراد أن يعطيك وليا للعهد لكل ولاية أنرفض عطية الله أم نقبلها ونكون من الشاكرين

قاطعه الإمبراطور مفزوعا

- نقبلها ولكن معني ذلك أن الإمبراطورية ستقسم فور وفاتي

قال المستشار

- نعم يا مولاى يجب أن تقسم الإمبراطورية لأن الحل الآخر مر كالعلقم

سأل الإمبراطور

- وما هو الحل الأخر ؟

قال المستشار

- الحل الأخر يا مولاى أن تجري انتخابات حرة ديموقراطية في أنحاء الإمبراطورية لاختيار ولي عهد مولاي الإمبراطور علي أن يفتح باب الترشيح فيها لكل من يريد وليس لأولياء العهد وحدهم.

قال الإمبراطور

ـ ولما لانفعل ذلك ؟

قال المستشار

ـ لقد قلت لجلالتكم مرارا إن الشعب لايعلم صالحه وبالتالي لن ينتخب أي من ولاة العهد.

انتظر المستشارحتى أحدثت كلماته الأثر المطلوب وأضاف

ـ إذن يا مولاى ليس هناك حل أخر فليحكم كل ولي للعهد ولايته وليكون لها وزارة ومستشارون ومساعدون وشرطة كلها تابعة لولي العهد الذي سيصبح ملكا علي ولايته بعد ذلك فلا ينازع أحد من ولاة العهد أخيه علي شئ وقد تملك كل منهم ولايته.

قال الإمبراطور

ـ ولكن ..

قاطعه المستشار

ـ هناك سبب آخر يا مولاى يوجب تطبيق هذا الحل

سأل الإمبراطور

ـ وما هو ؟

قال المستشار

ـ يا مولاى الإمبراطور إن الإمبراطورية عندما شرفت بتولي جلالتكم

المسئولية منذ سنوات وسنوات ليست مثلها اليوم فقد تضاعف سكانها وتضاعفت معهم مشاكلهم وأعبائهم ولم يعدلفرد واحد مهما كانت قدراته أن يدير هذه الإمبراطورية وإلا سيفلت الزمام من يديه وخصوصا إن كان حديث عهد بالحكم قليل الخبرة في السياسة ودهاليزها ولاعلم له بالاقتصاد وشئونه وبالاجتماع ونظرياته وبالعسكرية ناهيك عن الدين ومذاهبه وفقهه وفتواه وولاة العهد يا مولاى ليس بمقدور أي منهم إدارة الإمبراطورية و لإن أخطأنا ولينا أحدهم الإمبراطورية فسوف يضيع ويضيعها ولكن إن تولي كل منهم حكم ولاية قل عدد سكانها وقلت مشاكلهم واستطاع السيطرة عليهم.

وهكذا يا سادة من لا أعرفهم ولكنني أعلم أنهم من أبناء الإمبراطورية ومن أبناء ولايتي هكذا أصبح لكل ولى عهد ولايته وبعد أن رحل الإمبراطور أعلن أبنائه الحُباة أنفسهم ولاة للأمر واختار كل منهم لنفسه اسما فمنهم من سمى نفسه ملكا ومنهم من سمي نفسه أميرا ومنهم من سمى نفسه عاهلا وتمزق علم الإمبراطورية إلي أثنين وعشرين علما وتشرق بعضهم وتغرب بعضهم وتقوقع بعضهم واختلفوا في كل شيء إلا في نظرية الحُباة التي وضعها المستشار - رحل برحيل إمبراطوره والإمبراطورية - فطوروها ونقحوها وعدلوها ومنهجوها ومنطقوها.

أما الشعب فقد ألهى في الولايات الغنية بأحدث الموضات في

المفروشات والسيارات وأوهموا الشعوب أن الولايات الفقيرة حاقدة عليهم وتتمني زوال النعمة من أيديهم لذا فهم لايستحقون المعاونة والمساعدة ولايستحقون إلا ما هم فيه من بوس وشقاء أما في الولايات الفقيرة فقد ألهي الشعب بالبحث عن طعامه وانشغل كل رب اسرة بأبنائه كيف يطعمهم ويكسوهم ويعلمهم حتى اذا ما فني عمره وأحس في نهاية أيامه أنه أدي ما عليه وجد أبناءه بلا وظائف وبلا مأوي وبلا مستقبل وأهموا الشعوب في الولايات الفقيرة أن الولايات الغنية تأبي مساعدتهم بل أنهم يساعدون أعداءهم بالأموال في بنوكهم والاستثمارات علي أراضيهم وشغلوا الشعوب في كل الولايات بمباريات الكرة وفوازير رمضان والأغاني الهابطة وبالبكاء علي الماضي المفقود الذي ترغب في استعادته الولاية وحاكمها الا أن باقي الولايات ترفض ذلك وذراً للرماد في العيون اتفقت الولايات علي أن ينشئوا داراً للندوة بينهم وقرروا في ميثاقها أن قرارات دار الندوة غير ملزمة.

أما المنتصبون علي أقدامهم - المغرضون من وجهة نظر المستشار الراحل - فما زالوا في كل الولايات يطاردون ويهمشون ويسجنون وإذا ما غزا الوطن غاز أو اعتدى عليه معتد فإنهم يستدعون حتى إذا أدوا ما عليهم وارتد الغازي وأدب المعتدي وانقشعت الكارثة فإنهم يهمشون ويسجنون ويطاردون .

انتهت الورقة الأخيرة فسلمتها وأنا ابتسم لضحك المتحلقين حولى الذي زاد بعد أن ضحك الشيخ ذو اللحية البيضاء وعلا أكثر بضحك الحاج صبرى وتحول إلى حالة هستيرية من الضحك عندما فشل الكبير في منع ضحكته وهو يقول

ـ والنبي حدوتة حلوة دا الناس زمان كانوا متبهدلين قوي :

وقال الحاج صبري

ـ أي والنبي يا كبير دا الناس دلوقتي في نعمة

وأضاف الكبير

ـ هو إحنا شوفنا ولاهانشوف زي اليومين دول لاقرود ولاغيره والناس بيمشوا زي ربنا ما هو خالقهم.

ونسج الحاج صبري علي نفس المنوال

ـ دار المفروض نصلي ركعتين شكر الله إن أحنا ما عيشناش الزمن الأغبر اللي بيحكي عنه ده .

وعلي نفس المنوال غزل الكبير

ـ والنبى دا ربنا حب يعرفنا إن احنا فى نعمة

وقفز سيد أبو شفتورة من وسط المتحلقين وقال

ـ حد يسابقني وهو بيمشي زي القرد

ضحك الحاج صبري وقال للسيد أبو شفتورة الذي جلس علي مؤخرته

كالقرد استعدادا للمنازلة.

- الواد عوض يسبقك

رد الكبير

- لأ ما يسبقوش

قفز عوض من فوق كتف أحد المتحلقين في حركة بهلوانية فإذا به بجوار السيد أبو شفتورة فضحك الجميع واستعد المتسابقان للنزال وبإشارة من الكبير بدأ السباق وانقسم المتحلقون لفريقين كل فريق يشجع متسابقة بحرارة وفاز السيد أبو شفتورة واعترض الحاج صبرى علي النتيجة ودفع بآخر لمنازلة أبو شفتورة واندفع ثالث ورابع وتم تقسيم المتحلقين لفريقين ووضعت إشارة لبداية السباق وأخري لنهايته وخط واضح بين الفريقين.

عندما كانت الشمس توشك علي الغروب كان الكبير والحاج صبري يتابعان والشيخ ذو اللحية البيضاء يحكم وكان كل المتحلقين قد تحولوا لمتسابقين في سباق العدو كالقرود بينما كانت السنة اللهب الصاعدة من الصندوق والأوراق تتحدي الليل القادم علي الأبواب أما الأجش فعلق فأسه علي كتفه ووضع فوقها جلبابه البالي ومضي وقد تملكه شعور بالأسي جعله يطرق أثناء سيره وعلي باب أحد الدروب النابتة من المقام توقف ونظر لهم مليا وابتلعه الدرب.

وصمت مصري وحده وبلا طلب من أحد وضحك الطبيب والمسعفان والجالسة وتأرجح العنكبوت المعلق وقال الطبيب الذي وقف وقد تهيأ للرحيل وقال للجالسة .

- ما تخافيش عليه صدمة وهاتعدي إن شاء الله هاتعدي علي خير..

حضرتك قولتي إنكم ليكم ولد ؟

قالت وقد عادت لحالة الحلم

- ايوه يا بني لينا ولد .. ولد متعلم قوي ..وذكي قوي ..

ومتدين قوي .. وحليم قوي .. وحر قوي .. وحازم قوي .. وشريف.. وطاهر قوي ..

قال الطبيب

وحضرتك قولتي هو فين ؟

قالت وقد ذهبت عيناها إلي مكان مجهول عبر النافذة المفتوحة

- زمانه جي .. زمانه جي يا بني .. زمانه جي.

تمت

٣٠ / ٣ / ٢٠٠٤

الاقتراب من النص الروائي « الحياة »

للكاتب الشاب سعد عبدالفتاح

اربعة رواة ينسجون خيوط الروايه .. فى خيوط متوازيه تقترب من بعضها أحياناً لحد التماس.

ويحمل كل خيط هما خاصاً يتصاعد مكوناً سحابه سوداء من اللهم العام المنتشر فى الازمنة المختلفة ..

وفى ظل السهم العام من الاحباط والقهر والفساد .. يتفكك تماسك المجتمع وقوامه الاساسى ، يبحث كل فرد عن الخلاص الشخصى الذى يزيد من حدة الضياع وتفتت المجتمع.

واستخدام الخطوط المتوازيةفى صالح العمل ، حيث تخدم فكرة الهم العام المسيطرة على العمل من تكثيف وتركيز

المساحة الزمنيـة للقص ليلة واحدة هرب منها القمر والمكان واحد ومغلق ، منزل اسمنتى شامخ ومميز بين بيوت طينية وفقيرة

والشخصيـة المحورية الرمزية .. «المصرى أصيل عبدالوارث » يتميز بانه القارئ الوحيد فى القرية ، يرتدى جلبابا أبيضا ، نحيل وطويل مثل نهر النيل ينحرق أرض مصر.

بشرته سمراء كأرض الوادى ، عمل فى جميع الوظائف الحقيقية

والمنتجة ، يمضى ويقاوم الفقر والشقاء والقهر.

عندما شاهد الأمريكان فى العراق ، صرخ « قتل هارون والدور علىَّ أنا ومعاوية » والدلالة واضحة ثم ارتمى وقال دثريني وزملينى وهو اقتباس مقبول من القرآن ، واشارة واضحة للدخول فى حقبة جديدة من الهيمنة الأمريكية وسياسة القطب الواحد ، وضياع الهوية العربية.

ومعاول الهدم قديمة ولو بحجه هدم ليكون أعلى وأضخم وأعظم من مقام الست السابعة المجهولة ومعاول الهدم لايقابلها بناء حقيقى بدليل أن المسجد لم يبنى مرة أخرى وبذلك فقدنا قيمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهى آية تكررت بأصرار فى القرآن أكثر من ست وخمسين مرة الايمان يرتبط بقيام العمل النافع والايمان جزء كبير من الهوية العربية فإذا ضاع وطمس تاه الجميع.

فقراء القرية .. يهدمون المسجد طمعاً فى كسرة الخبز حتى أن من عثر على الصندوق أثناء الحفر ارتمى عليه وادعى ملكيته ، وتحرك الحرمان عند الأخرين ، ووصل الامر لحد القتال وفتح الصندوق امام الجميع لعدم الثقة فيما بينهم.

وكان بالصندوق أوراق صفراء ، أصيبوا بالاحباط واليأس لان المدون بالاوراق تاريخ الملوك والحكام ، وليس تاريخهم ، وقد شبعوا شعارات ووعود.

وكان دور المصرى القارئ الوحيد هو ، والترحال فى التاريخ القديم حيث سيطرة الحاكم العقيم وكل تفكيره لمن يترك هذا الملك والجاة والثروة وهو عقيم لاوريث له.وهو امر متكرر عبر التاريخ ، الحاكم والبطانه من حوله الفئة الباغية والظالمة والتى تملك كل شئ . الشعب المهمل الفقير يعيش فى غيبوبة تحت شعارات براقه ووعود بالوهم

ويسخر كل شئ من أجل علاج الحاكم حتى ولو باستخدام السحر ودماء القرود ، وتفتت الدولة إلى اثنين وعشرين ولاية ضعيفة ، تحارب بعضها البعض وتستعين بالقوى الخارجية التى تساعد وتلتهم الولاية أو تتحكم فى مصائرها.

وتصوير عقم الحاكم ، ثم محاولة بأى ثمن وأى طريقة وتأتي الولاده الغير طبيعة لولاة العهد انهم حباة مثل القرود يسيرون على أربع . ثم بالترويح والترغيب مرة والقمع والترهيب مرة أخرى يتحول البطانة حول الحاكم اختياريا الى حباة ولكن المنتصبون من الشعب يقاومون الركوع والاستسلام ويهربون إلى الجبال والكهوف اذا ضاق بهم الحال وعند الخطر نجد الحباة يستعينون بالمنتصبين للدفاع عن الوطن

هى صور ذات دلالات قوية فى خدمة الفكرة العامه للعمل .المحور الرئيسى الممتد من القدم الى الحاضر الملئ بالاحباط واليأس والمستقبل الأمل مع صور الرجل « المصرى » المسجى على فراشة وممسكاً بيد

زوجته ـ الأصل والارض ـ يبحر فى عينيها ـ رحلة الفراق والمغادرة ـ تجيب المرأة على سؤال الطبيب هل لكما أبنا وتقول :

ولد متعلم قوى ، وذكى قوى ، متدين قوى ، وحر وحازم وشريف وطاهر ، زمانه جى .. زمانه جى.

وراوى الخط الثاني ، الدكتور ، يقدم الماض الغريب والحاضر فهو طبيب اسعاف قرود لايستطيع أخذ اى قرار دون الرجوع على اساتذة ، عايش الهزيمة فى تساقط أصدقاء ابيه وانفصام الجيل بين طموح الثورة والشباب والشعارات الزنانة والواقع المهزوم والمغامرات العسكرية الغير محسوبه

احد أصدقاء ابيه قتل فى اليمن . وثلاثة ضاعوا فى سيناء من اثر قرار انسحاب عشوائى وحينما عاد واحد من الثلاثة عاد مشرد العقل وأطلق لحيته وعندما طالت ذهب يحارب فى افغانستان يحارب السوفيت بالسلاح الامريكى تحت أشراف المخابرات الأمريكية ، ونفقة أموال البترول العربى وحكاية الشيخ سلامة طالب الصيدلة المتفوق إلى أن اختلطت عليه الأمور واباح لنفسه الولايه.

وبذلك تكون العلاقة هشه وضعيفة بين ابناء هذا الجيل وتساقطهم فى الوهم وخدمة المشروع القومى الكبير المحارب من الداخل والخارج .

ومع الفشل المتواصل ، والنكسات المتواليه ، وعدم القدرة على

العمل الصالح الفعال كان غياب الايمان، وانتصار وانتشار الخرافة والسحر والغيبيات وهو الخط الثالث الذى يحكيه الشيخ طه وهزيمة الجن اليهود والملاعين ، طالما لانستطيع هزيمة اليهود من البشر.

وطالما فشلنا فى العمل الصالح ، فليكن النوم فى العسل القاتل والركون فى إلى الخرافات والأوهام التى تريح العقل . وتشغل الناس بالتافه من الأمور.

وفي غياب المشروع القومى الحقيقى كانت الحلول الفردية الهامشية ولو على حساب مصلحة المجموع من الشعب وهو الخط الرابع ويقدم حنفى وتمثل الوقت الحالى المعاش.

حنفى العاجز المحاط بالفقر بين الام الدلاله التى تكسب من اعادة بيع الاشياء من رغيف الخبز الى اسطوانات واسطوانه الغاز .

واغراق الام الدلالة فى الزواج والملذات والشهوات الحسية الفجة دلالة على عدم وعيها .. وكل حرصها على كسب المال بأى طريقة لتحقيق رغباتها.

والخطوط الاربعه يحمل كل منهم السهم الخاص به ، يتبخر يتصاعد مكونا سحابه سوداء من الهم العام تحجب اشعة الشمس وتجعلنا نعيش فى عصور من الظلام .

النـاشــر
دار النيــــل
للنشر والطبع والتوزيع
١٢ شارع عبده بدران
م الباشا ـ المنيل
ت : ٣٦٢٢٥٧٨

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٨٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى للدار 4- 60 - 5243 - 977